مبادرة

القراءة بالمجان

الكتاب: صراصير في حياتي
الكاتب: إيمان النبوي- أمينة القرماني
رقم الإيداع: 25741/ 2019
ISBN:978-977-800-107-5
تصميم الغلاف: محمد صبري

دار ليان للنشر والتوزيع
مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056
Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، وأي محاولة للطبع أو النشر بأي طريقة دون موافقة كتابية يعرَّض صاحبها للمساءلة القانونية

صراصير في حياتي

إيمان النبوي
و
أمينة القرماني

لبنان
للنشر
والتوزيع

إهداء

إلى كل مَن سكنه صرصار
أو عدَّى عليه في ليل أو نهار
تعالوا ننضف الديار
ونعود من تاني أحرار

ودمتم أصحاء أعزائي

الحلقة الأولى

استيقظت من نومي كعادتي مبكرًا وأنا أجاهد من أجل إبقاء عينيَّ مفتوحتين. أفتح واحدة تغلق الأخرى أوتوماتيكيًا، أفتحها بإصبعي فتباغتني الأولى وتنطفىء. أستمر في هذا الموال الصباحي قرابة الثلث ساعة تقريبًا. ثم تبدأ عملية إخراج جسدي الثقيل من السرير.كحافلة نقلٍ ضلت طريقها وانحدَرت إلى الترعة أنحدر إلى الحمَّام.

وقفت أمام المرآة ذلك الصباح بعيني شبه المفتوحتين، لأجد أعجَب منظر من الممكن أن تشاهده في حياتك؛ صرصارًا يقف على أم رأسي ينظر إلى نفسه بإعجاب شديد في المرآة، محركًا "جوزين" من الشوارب بانطلاق وحيوية شديدين. "لا بُدَّ وأنني أحلم". هكذا قلت لنفسي في اندهاش. "فركت" عينيَّ بقوة. ضربت نفسي "قلمين على الماشي". ثم نظرت ثانية، لأجد نفس المنظر، ولكن مع ازدياد الإعجاب "بجوزين الشوارب" هذه المرة. لكمت نفسي بقسوة. صرخت. وقعت على أرضية الحمام متأوهة، لأجدني وجهًا لوجه مع ذي الشوارب الحسناء الفتية.

- صباح الخير.

- - - - - -

- طب صباح الفل.

- - - - -

تكورت في ركنٍ من الحمَّام. لملمت أعضائي وخصلاتي المبعثرة، مع القليل ممَّا بقي لي من أعصاب.

- إنت مين؟

- حد يبتدي صباحه بالشكل ده برضو؟

- أنا أكيد بحلم.

- ساعات الواقع بيبقى أغرب من الخيال يا إيمان يا بنتي.

جحظت عيناى من الدهشة وتكورت أكثر على ذاتي. ما هذا الشيء الأسود القبيح الكائن أمامي على السيراميك؟ صرصار يتحدث؟ أنا سمعت عن "أمنا الغولة" و"أبو رجل مسلوخة" و"عفريت العلبة" من قبل كثيراً. لم أسمع أبدًا عن "الصرصار الفصيح"!!! ويعرفني أيضًا!

- إنتي حتفضلي باصالي كده كتير؟ يارب حفلة التصوير دي تخلص بقى.

- طططططبب قولي بس أرجوك.. إنت مين وعايز إيه؟

- عيب عليكي يا إيمان لسه ماعرفتنيش؟

- (بدهشة ممزوجة ببلاهة وخجل مصطنع) لا الحقيقة.. معلش سامحني.. مين حضرتك؟

- أنا عمو الصرصار.

- يا راجل.. (بانت عليه أمارات الضيق إزاء سخريتي).. آسفة.. عمو الصرصار مين؟

- يا بنتي عمو الصرصار.. صديق للعائلة الكريمة ولحفنة (مش بطَّالة) من أصدقائك ومعارفك.

- نعم!!!

- (عقدَ شاربيه في دهشة وغضب ونظر مباشرة في عيني) إنتي مش مصدقاني ولا إيه؟ ده أنا في الأصل صديق شخصي ليكي إنتي.. وإنتي اللي عرَّفتيني على بقية العائلة والأصحاب.

- أهلًا أهلًا.. حصلتنا البركة يا عمو الحقيقة. وحضرتك بقى تعرفنا من زمان؟

- يااااه ده عُمر يا بنتي.. سنين طويلة مالهاش عدد..

- غريبة يا عمو أنا أول مرة أتشرف بحضرتك وبطلعتك البهية دي النهارده.

- (باسمًا في ودٍ حقيقي) أنا على طول معاكي بس إنتي اللي مش شايفاني يا حبيبتي.

- فعلًا! يا عيب الشوم.. وحضرتك معايا فين بقى بسلامتك؟

- أنا بكل فخر أسكن العقدة الخامسة، المتفرعة من الخلية السابعة، القاطنة بالتجويف التاسع عشر من الفص الأيسر لمخ سعادتك الصغنن ده.

- !!!!!!!!!!!!!!!!!

قررت أن أنهي هذه الهيسترية الصباحية فاستجمعت شجاعتي وحاولت الوقوف على قدمي. نهضت وأدرت ظهري لهذه الهلاوس وغسلت وجهي بماء بارد. جففت وجهي وهممت بالخروج من الحمام لأجده واقفًا ملعّبا "لجوزين" شواربه. تجاهلته وخرجت. توجهت مباشرة إلى المطبخ. سواء كنت أحلم أم لا. أعلم كيف أقضي على "عمو الصرصار" هذا في ثوانٍ معدودة.

عدت إلى غرفتي حاملة المبيد الفتاك. وجدته ما يزال واقفًا كما كان، لا يحرك شاربًا ولا يهتز له جناح. هممت بإطلاق مخزون العلبة عليه. فتح فمَهُ على آخرِه.

ضغطتُ رأس العلبة بقوة، فانطلق وابلٌ من الرذاذ الخانق دفعة واحدة. تكونت شبورة بيضاء واسعة المدى. سعلت بشدة. انقشع الضباب. نظرت متفحصة آثار ما فعلت:

- كمااااااااااااااااان.. ممكن حبة كمان عشان أتكيف على الصبح يا بت يا إيمان.

سقطت مغشيةً عليَّ!

الحلقة الثانية

متفائله جدًّا أتجه بخطوات نشيطة وغير متزنة (علشان الكعب بس) نحو مكتبي الجديد. أحمد الله على هذا العمل الجديد وأحاول جاهدة أن أنسى الصراع النفسي الرهيب الذي كاد أن يودي بفرصي في النجاح كمديرة إدارة (أو حتى عاملة بوفيه). هذا الدفء الغامر بلا مقابل، هذا الاحتضان التام بلا كلل أو ملل، بغض النظر عن كمية التعب أو الزهق التي أكون "متمرمغة" فيها، ولا يهم إن كنت رفيعة أم "تخينة" أو حتى إذا كنت قد غسلت أسناني أم لا: إنه السرير بالتأكيد. فبالرغم من نجاحاتي العملية ما زلت أتذكر تلك الغفوات الصباحية التي كدتُ أنزلق بسببها في بحور من البطالة. وأنا لا أنكر ذلك العَرَض (وهو ليس مرضًا) ولكني أتذكره بقليل من الخوف وكثيرمن التقدير لمديريني (اللي ما خلوش موضوع بسيط زي ده يقف في طريق مستقبلي). وهذا الإغراء بصراحة استمر معايا منذ الطفوله ولم يأبه بمدى أهمية المواعيد والأشخاص أو الطيارات. أكيد أنا بذلت مجهود واتعالجت "بس القلب بيحن برضو."

المهم التف حولي فريق العمل الجديد. الكل يحاول أن يبدو لطيفًا ومتعاونًا أكثر من الواقع وهذا الوصف يشملني أنا الأخرى. "كله تمام. شكلهم لطاف الحمد لله". يا دوبك خلصت حمد وجاء دور إيمان وبدأت في الكلام.

- أنا برضو جيت في الآخر؟

- (ذهول من ناحيتي ظهر في رقبتي التي امتدت للأمام وكأنها علامة استفهام).

- أصل الإدارة دي دايمًا كده.. مظلومة.

- (يليها ابتسامة صفراء ومخضوضة من ناحيتي) لا أبدًا (مصحوبة ببرطمة داخلية "يادي النيلة، أدينا ابتدينا".

استمرت إيمان في شحن قليلًا من النكد في غرفة الاجتماعات وكثيرًا من التوجس في دماغي. المهم انتهى الاجتماع الأول على خير وجلست في قرارة نفسي أتساءل "مين الأخت دي اللي ببتكلم كلام كبير وكئيب؟" وبدأت أشعر بالخوف والرغبة في الانسحاب كعادتي "لما أشم ريحة "كونفليكت" "أو أي علامة من علامات صراع داخلي على وشك الخروج.

- لو سمحتي يا إيمان، هو إنتو بتوزعوا شهادات للمتدربين لما بيكملوا الكورس؟

- لا إحنا ما بنعملش كده.

- طب ممكن تطبعوا شهادات لما يكملوا الكورس؟ الناس بتبقى عايزة شهادة إنهم أخدوا كورس.

- لا إحنا مابنعملش كده.

مستوى الأدرينالين طبعًا بدأ يعلو في دمي وأنا أفكر "ما تعملوا كده، أنا مديرة وجديدة والفكرة مش حرام يعني ولا صعبة".

- طب ممكن تعملوا كده (مع كمية مش بطَّالة من السخافة الله أعلم قد إيه).

يرن جرس التليفون في مكتبي، إنه المدير الكبير.

- ممكن تقولي لإيمان تغيَّر الأرقام اللي في التقرير وتشيل الاستقالات لأنه كده مش واضح.

- أكيد . حاضر.

وبدوري كلمت إيمان وبعد أن شرحت وقُلت وعِدت.

- آه. المرة الجاية هبقى أشيلهم إن شاء الله.

*&$%###& (ده كان إحساسي! لما المدير الكبير يطلب حاجة ومنطقية وصح، ما نعملهاش ليـــه؟)

- طب ممكن تعمليها دلوقت يا إيمان؟

واستمرت إيمان في مواقفها الصارمة وثباتها على موقفها مستخدمة كل الألفاظ العربية الأصيلة التي قدرها عليها ربنا. وفي كل مرة أقوم باقتراح لشيء جديد أو حتى قديم تظل إيمان ثابتة راسية في مكانها وكأنها مركِب نقل بلا بنزين وأستمر أنا في الانفجار الداخلي المصحوب ببرطمة والكثير من الحواجب المرفوعة دون أي تعبير صريح عن هذا الاعتراض. فباستثناء نبرة الاستياء في أصواتنا كان من الممكن أن يعتقد الآخرون أننا سمن على عسل.

وتأتي لحظة الحقيقة أو في أقوال أخرى "ذا مومنت أوف تروث" وتدخل إيمان إلى مكتبي وتبدأ في الحديث وأرى أشباح ابتسامة وأشعر بها أخيرًا كإنسانة بداخلها الكثير من الخير والمشاعر الفياضة. أترك اللاب توب وأتلوح بالكرسي وأقول لها في اهتمام حقيقي وجدية:

- إنتي مخك مليان صراصير يا إيمان.

الحلقة الثالثة

أين أنا؟ وما هذا الثِقَل الشديد الذي أشعر به في رأسي؟ آخر ما أتذكره هو هالة بيضاء كثيفة، ورائحة نفاذة، وسعال شبه ديكي، و.. صرصور قبيح أسود. آه يا رأسي ما هذا الصداع يا ربي؟ ومَن كل هؤلاء من حولي؟ من أين أتوا؟ ولماذا؟ آه .أستطيع أن أميزهم الآن. أمي، وأختي، وأخي، وجارتي.

- حمد لله على سلامتك يا نور عيني. إيه بس اللي حصل؟

- إيه يا آمون، كده برضو تخضينا عليكي يا شيخة؟

- يالا يا بت قومي بلا دلع بنات مرق. شوية دوخة وكلام فاضي.. حركات بنات فارغة!

- الدكتورة بس عايزة تعرف غلاوتها عندنا.

استمر الحال بين مطمئن وساخر بعضًا من الوقت. شعرت برغبة شديدة في أن أطلب منهم أن يتركوني وشأني لأنام، فرأسي ومحتوياته على بعد خطوة من الانفجار. وجاءت اللحظة التي أرجوها وودعوني لأستريح قليلًا. استسلمت لنوم طويل عميق.

مَن هذا الذي يجرؤ على العبث بأرنبة أنفي؟ ومن الذي يلوّح إليَّ من الجانب الأيمن للسرير، والحنان يسيل من عينيه؟ ومَن هذا المستلقي على ظهره غارقًا في

بحر من الضحك، محركًا لأرجله الست في جنون؟ يا الله.. قمت فزعة من النوم. بصقت عن يساري ثلاثًا. استعذت واستغفرت. أخذت نفسًا عميقًا.

- يا ساتر يارب، كابوس ده ولا إيه؟.. (مستنشقة نفسًا آخر أكثر عمقًا) الحمد لله.. يخرب بيت السبانخ على العَشا.

- والسبانخ مالها بس يا بنت الحلال عشان تخربي بيتها على المسا؟

نظرت باتجاه الصوت الأجش والذي شعرتُ أنه يأتي من جانبي، لأجده مستلقيًا على الوسادة، واضعًا قبعة على رأسه، يخفي بها معظم وجهه، وأحد أرجله الست قد أتكأ على الأخرى في سكون.

- يادي اليوم اللي مش فايت. ده ماطلِعش حلم بقى. إنت تاني؟

- وحيكون مين غيري بس يا إيمي؟!

- وعايز إيه إن شاء الله؟

- حد يكلم عمو الصرصار كده برضو يا دكتورة؟ وبعدين مش أنا اللي عايز، إنتي اللي عايزة يا ستي.

نظرت إليه وكلي غضب هذه المرة، وتذكرت أنه لم يفلح معه المبيد المرة السابقة. حسنًا. سأستعمل السلاح الثقيل هذه المرة وستكون القاضية. قفزت من السرير. توجهت إلى خزانة الأحذية. التقت "البوط" الروسي المنيع. استدرت في حركة هندية سريعة، وعدوت باتجاه الهدف مباشرة، وكلي إيمان أني سأصيبه في مقتل هذه المرة.

- إنتي بتعملي إيه يا مجنونة؟ لاااااا لا لا.. ما اتفقناش على كده.

- اتفقنا إيه واختلفنا إيه يا عمو الفصيح إنت.. هو إنت لسه شفت حاجة.. أنا حقطعك النهارده وحأرميك للنمل ينهشوك ويخلصوني منك.

- إستني بس.. إستهدي بالله يا بنت الناس.. مايصحش كده.

أخذ يجري في كل اتجاه في خوف شديد وقد ألقى بقبعته الأنيقة بعيدًا، وأنا من خلفه، رافعة بسلاحي الرادع، ومتوعدة بنهاية قريبة لهذه المهزلة. تذكرت يوم أن كنت أحاول الإمساك بأوزة في الحديقة العامة بميونخ، بألمانيا، وكيف انتهى المشهد وحولي جمهرة من الناس تكاد تموت من الضحك، وأنا وجهي ملطخ بالوحل من جراء تعثري وسقوطي في بقعة طينية خصبة. لن أنسى نظرة "التشفي" والنصر التي رمقتي بها تلك الأوزة ذاك اليوم. ولن يتكرر المشهد يا صرصور النحس إنت ثانية.

- طب ممكن نتفاهم.. وأوعدك مش حتندمي.. ولا حيكون شكلك وحش زي يوم الوزة دي بتاعة بلاد بره.

أسقط في يدي في هذه اللحظة. وتوقفت عن الركض ويدي ما زالت مرفوعة وفردة الحذاء تتربعها.

- إنت عرفت منين موضوع الوزة ده؟

- إنتي ماتعرفيش إني أقدر أقرا أفكارك؟ ومن تلابيب مخك الضعنن ده، أقدر أقولك كل أسرارك؟

- صرصار روحاني حضرتك يا عمو؟

- لأ يا ستي ومن غير تريقة لو سمحتي.. أنا ساكن قديييييم.. تقدري تقولي عِشْرة طويلة يعني.

- أنا مش قادرة أصدق نفسي بجد.. أكيد ده مش حقيقي.

- أرجع تاني وأقولك ساعات الحقيقة بتكون أغرب من الخيال يا دكتورة.

قال هذا الكلام وقد استند إلى الحائط، وأحد أرجله على صدره، يحاول جاهدًا أن يلتقط أنفاسًا لاهثة، ونظرة حذر، مشوبة بقليل من الأمل تلمع في عينيه.

- نقدر نتكلم جد شوية بقى؟

- - - - - -

- أنا كنت واخد عهد على نفسي لا أبان ولا أظهر.. وأفضل أنا وعيلتي ورفقاتي متهنيين كده في مخك البلوظة ده لحد ما مديرتك الغريبة دي، الله يهدَّها مطرح ما هي قادر كريم، قلقت منامنا كلنا.

- مديرتي؟! إنت بتتكلم عن إيه بالظبط؟

- عن الحوار الخايب ده اللي دار بينكم إمبارح في مكتبها.. وقعدت تقولّك "فيه صراصير في دماغك" والكلام الفارغ ده.

- - - - - -

- المشكلة الحقيقة مش في كلامها هي.. إنتي صحيح كنت مضايقة منها موت، ومش فاهمة هي بتقول إيه أصلًا، وبأي حق تتكلم بالشكل ده من أساسه، بس.. ابتديتي تفكري في كلامها يا حلوة.. وده اللي مش ممكن أسمح بيه أبدًا!!!

ولأول مرة ألمح هذه النظره في عينيه الضيقتين.

الحلقة الرابعة

(منزل أمينة)

الويك إند أخيرًا جه، وبالرغم من رغبتي في الترفيه والخروج وما إلى ذلك، استسلمت لعناق طويل مع السرير لما بعد الساعة الواحدة ظهرًا. قمت من السرير مفزوعة على جرس الباب، هرولت (أو في أقوال أخرى إتدهولت) من السرير "أكيد المكوجي". فتحت الباب.

- أيوه. حد ييجي بدري كده في الأجازة؟

- معلش يا مدام، طلبية مستعجلة.

- يعني إيه؟

- حضرتك كنت طالبة طلبية كبيرة ومستعجلة من الفليت الأسباني المخصوص من الأستاذ.

- آآه (افتكرت دلوقت). ماشي شكرًا. والأستاذ أخباره إيه لسه بيسافركتير؟

- يا مدام الأستاذ ما بيهمدش. كل ما يلاقي وصفة جديدة يسافر يجيبها.

- ربنا يكتَّر من أمثاله. هات العربية عند الباب ونزلها هنا هو جنب أكوام الكتب والفايلات دي

طلعت أجيب الفلوس وسمعت صوت جوايا (وسمعته بصراحة برايا كمان أكتر) بيقول "طول ما انتي صارفة كل فلوسك عل الفليت ده ح تفضلي فقرانة كده."

- اسكت يا حيوان يا صرصار! إيش فهمك إنت في خدمة البشرية جمعاء واحتياج الإنسان لهدف سامي يحس من خلاله بقيمته.

- عارف عارف درس ماسلو بتاعكو والهرم وتحقيق الذات والفيلم ده.

- تلاقيك عرفته من الجواسيس بتوعك. ما تحاولش تقنعني إنك مهتم بالموضوع ده! هاه

(وضحكت ضحكة أفلام قديمة. وهززت رأسي بصورة مسرحية عنيفة لأخيفه حتى خفت أنا أن تكون رقبتي "اتحوَلِت".صراحة شعرت باحتياج أن أثبت لنفسي انتصاري على ذلك الصرصار وأمثاله) . تذكرت تلك الواقعة الأليمة عندما دخلت أنا وابنتي الصغيرة المنزل وكان خاويًا وباردًا، لم يحرك فيه ساكنًا إلا صرصار يتسلق بسرعة السلالم الثلاث. تجمدت في مكاني من الرعب وفلتت صرخة هيستيرية حملت معها كل ضعفي لأسماع ذلك الكائن الحقير. نظرت إليَّ ابنتي في السابعة من عمرها وقد ارتسم الفزع على ملامحها الصغيرة. أريد لها حياةً بلا صراصير "صراصير فري". استجمعت كل شجاعتي وهويت عليه بالحذاء.

وانطلقَتْ ابنتي في سلام وطمأنينة لغرفتها تلهو بألعابها. واستلمتني جثة الصرصار. حاولت مرارًا وتكرارًا التخلص من الجثة، ولكن هيهات. إنها لعنة الصراصير المعروفة. كلما هممت بالاقتراب من الجثة أرتعد وتزداد ضربات قلبي ويقشعر بدني وكأنها ليلة هالوينية مرعبة. دقت الساعة منتصف الليل وبدأ مخي في تخيُّل الكثير من السيناريوهات حول النوم بوجود جثة هذا القتيل في المنزل. كنت بدأت أنهار وسلمت بعدم قدرتي على التخلص من الجثة. جريت بسرعه على الإنتركوم "أيوه يا عادل معلش أنا آسفة ممكن تطلع لي؟ أيوه شقة خمسة"

جاء رجل الأمن مذهولًا وبالرغم من ذلك لم آبه لعلامات التعجب التي غطت

وجنتيه المليئتين.أشرت إلى القتيل ثم إلى سلة المهملات بجدية شديدة وهلع بالغ لم أستطع إخفاءه، وتمت العملية بنجاح وسرية تامتين في جناح الليل.

أفقت من تلك الذكرى المُذلة على صوت عبد الفتاح "عشرتلاف جنيه يا هانم"

لفت نظري تلك الترقية. أصبحت هانم الآن وأنا أدفع ذلك المبلغ المتين ومن قليل كنت مجرد مدام. شكرت عبد الفتاح وشمرت عن ساعدي وبصراحة "إديتها". أخذت أعمل حتى المغرب في ضبط كل المبيدات والمعدات الخاصة بها وأصبحت الآن مستعدة لمواجهة أي صرصار تسول له نفسه الاقتراب مني وبالأخص كنت الآن جاهزة للقضاء على الصراصير التي تحتل بعض الفصوص المخية لدى إيمان. الحمد لله الدراسات المختلفة في علم الصراصير والبشر والأمصال الموسمية أعطتني بعض المهارات لمساعدة الآخرين في تحقيق حياة أفضل واستبدال الصراصير بفرَاشَات ملونة أحيانًا. وحقيقة الأمر أن متعة رؤية الصرصار وهو ينصرف والفراشات وهي تتحرر لا تضاهيها متعة.

استيقظت مبكرًا في اليوم التالي، جمعت أوراقي وعدة الفليت الثمينة وتوكلت على الله وكلي لهفة أن أقابل إيمان في ثوبها الجديد بعد استخدام العدة "المتكلفة" معها.

(تغ"بف ÷غط"ظ)

توجهت إلى عملي في الصباح التالي ورأسي يتقاذفه خليط من الأفكار المتضاربة. في طريقي وأثناء قيادتي، أخذت أسترجع هذا الحوار العجيب الذي دار بيني وبين هذا الـ "عمو الصرصار" ليلًا، هذه النظرة التي أستهل بها حديثه واختتمه بها أيضًا.

- إزاي تسيبيها تقولك كده؟

- أنا مش عارفة الحقيقة هي إيه اللي قلته ده..

- تعرفك منين هي؟ ولا أدّ إيه أصلًا عشان تسمح لنفسها تتكلم معاكي كده وبوش مكشوف؟

- عندك حق الصراحة يا عمو.. أنا برضو استغربت آخر حاجة واتضايقت كمان قوي.. قال عندي صراصير في دماغي قال!

وهنا توقفت عن الحديث ونظرت إليه مباشرة وجهًا لوجه وكأني أدركت لتوي ما يحدث. اعتراني خوف غريب. اقشعر بدني كله. زاغت نظراتي. شعرت برغبة عارمة في القيء. توجهت إلى الحمام ومكثت فيه قليلًا. عدت أدراجي لأجده وقد ارتدى القبعة وجلس القرفصاء في مواجتهي مباشرة.

- إنتي خايفة دلوقتي مش كده؟ مفيش حاجة تستاهل الخوف يا حبيبتي.. أنا زي ما قلت لك قبل كده أنا عِشرة قديمة قوي. وتعالي نتكلم بالعقل.. إنتي عمرك عرفتي بوجودي في حياتك أو في حياة حد من اللي تعرفيه قبل كده؟

- (متوجسة خيفة) لأ

- عال.. طيب عمري اتعرضت لك أو لحد من حبايبك بسوء؟ طلعت لك في علم أو حتى في حلم شي مرة؟

- (بنفس التوجس) لأ برضه

- عالين.. يعني ما شفتيش مني أي حاجة وحشة لا سمح الله خالص.

- - - - -

- الأكتر من ده وده بقى إني كنت في ضهرك في كل "الكونفلكتس" اللي مريتي بيها في مواقف مختلفة من حياتك في الفترة الأخيرة.. واقف جنبك، سندك، عزوتك أنا ورفقاتي.. عمرنا ما سبناكي تفكري لوحدك أبدًا ولا تتصرفي من دماغك، بطيشك

اللي إنتي عارفاه كويس. كل مشكلة كنا بنتكتك ونطلعك منها زي...

- مش فاهمة..

- تقدري تنكري إنك دلوقتي أقوى بكتير من زمان؟

- (أحاول أن أتمعن فيما يقول ولمحة رضا تعلو قسمات وجهي المرتعد.. ولكن لا أقول شيئًا)

- وإن مابقاش في حاجة ولا حد يهمك ولا تخافي عليه زي زمان؟ ده حتى مرض والدك الأخير ده، باين للكل قد إيه ما اتهزتيش حتى.. ده إنت راجل البيت دلوقتي.. أسد يا بنتي واقفة بطولك ولا أجدع راجل.

- (باسمة لأول مرة منذ بدء الحديث) أيوه أمي دايمًا تقولي إني بمية راجل وإني سندها بالذات دلوقتي.

- شفتي بقى.. مش بقولك عِشرة عُمر زي "أوليمبيك إليكتريك" كده تمام.. قومي يلّا اغسلي وشّك أوام.. وناميلك شويتين، الفجر قرب يطلع.

- (لا أتحرك من مكاني وقد فارقتني البسمة).. طب معلش ممكن أسأل سؤال؟

- طبعًا اتفضلي بكل سرور يا عزيزتي.

- إنت عدو ولا حبيب؟

- (سيل الحنان طفح من عينيه فجأة وربت على كتفي قائلًا) بقولك سندك وضهرك وعزوتك يا دكتورة. ده إحنا ما فارقناش بعض من سنين طويلة.

- (وقد بدا عليَّ بعض الارتياح) طب والعمل إيه دلوقتي يا عمو؟

- ولا عمل ولا يحزنون. حتقومي تغسلي وشك، وتنامي حبتين، وبكرة الصبح تعرّفي الست أمينة هانم دي مقامها مظبوط.. إنتي مش هفية عشان حد يهينك

كده، ولَّا يحاول يلعب في دماغك المتكلفة، ده إنتي دكتورة على سن ورمح.

لقد وَصَلت. سألت عليها في طريقي إلى مكتبي، لم تحضر بعد. "ناموسيتها كحلي كالعادة"، ونهارها "مش فايت" إن شاء الله. لا بُدَّ وأنها ستسال عني "لما تشرَّف"، فهي تريد التقرير الختامي المتفق عليه. حسنًا سأنتظرها بفارغ الصبر، و"أعرَّفها شغلها كويس". مالها هي وصراصيري الحبيبة الأليفة، أم كعب عالي دي؟؟!

الحلقة الخامسة

- اقعدي يا إيمان. أنا مش قصدي حاجة. أنا بس حاسة إني نِفسي تكوني مبسوطة وإنك مكلكعة الدنيا بشوية أفكار وحاجات جوه دماغك.

- - - - -

- أنا آسفة لو ضايقت الصراصير اللي جوه.

- - - - - -

- مش عيب إنه يكون عندك صراصير. كل واحد فينا عنده صراصيره. والصراصير ياما..أشكال وألوان.

- يعنى إيه يا مدام أمينة؟ (ردت بهدوء ورغبة في الاستماع).

- يعني فيه الصرصار المثقف اللي يعقَّد الدنيا ويفلسف كل حاجة، وفيه الصرصار الأليط المنفوخ اللي بيحس إنه أعلي من الناس.

- قصدك إيه يعنى؟ (قالتها بحدة قد تتزايد)

- مش قصدي حاجة.. دي أمثلة بس.

- آه.

التفت ونظرت إليَّ إيمان باهتمام حقيقي من القلب:

- وحضرتك بقى معلش يعني بتحللي الحاجات دي؟

- مش بالضبط. أنا نفسي قوي أساعد الناس تعيش مبسوطة ودرست شوية حاجات.

- حاجات إيه؟ طب نفسي وكده؟ انا مش مريضة.

رددت وأنا أتجاهل دفاعها عن نفسها:

- لأ.. ولو إني كنت أحب. درست "كوتشينج" اللي بيسموه مدرب حياة هنا فى مصر. ودرست البرمجة اللغوية العصبية ودرست طُرُق مختلفة لتحليل الشخصية ومريت بحاجات كتير برضو في حياتي.

- طب يعني أفهم من كده إنك بقيتي "صراصير فري"؟

- لأ. ماحدش تقريبًا صراصير فري طول الوقت. لكن بعرف كتير أكتشفهم وفي أوقات كتير أرشُّهم وأمشِّيهم ولما ييجوا ثاني أرشهم تاني وأعمل أحيانًا عمليات تنضيف كبرى. إنتي مش شايفة الفليت الكبير ده؟ يا بنتي ده مكلفني شيء وشويات.

نظرت إليَّ إيمان وكأنها على وشك استطلاع غابة مجهولة أو عمل لقاء صحفي مع مجنون هارب، وبالرغم من ذلك شعرت برغبتها وفضولها لمعرفة المزيد.

- طب وأنا أجيب الفليت ده منين؟ من السوبرماركت؟

- ماكانش حد غُلُب يا حبيبتي. يا ريت. بتتعلميه وتشتري العدة وتستخدميها.

- سهل ده ولا صعب؟ غالي ولا رخيص؟

سألت وقد بدأت اللهفة تتطاير من بين الكلمات مثل طفلة صغيرة تسأل عن الملاهي.

- سهل، مافيش حاجة صعبة أصلًا. ولوما عجبكيش في أي وقت قولي لي. (شعرت وانا أقول ذلك وكأني أجرها إلى طريق المخدرات وخفت أن تشعر هي الأخرى بذلك، فأكملت "وممكن بقى لما بتتعلميه تساعدي الناس التانية".

انشكحت أساريرها وعرفت أنها مثلي، وشعرت في تلك اللحظة أنني بالتأكيد أقوم بعمل خير. لم أكد أبدأ في الإحساس بالرضا حتى تساءلت في نفسي: "لماذا أتدخل فيما لا يعنيني؟" ووجدت نفسي أتحدث مع نفسي في قلق.

- ما البنت كانت مبسوطة وزي الفل ومش داريانة إن عندها صراصير. أو جايز داريانة ومش فارق معاها. إنتي بتعملي كده ليه؟ تقلّبي عليها المواجع ليه؟

- نفسي تتبسط. ما هي زي الفل ما تتبسطش ليه؟

- وإنتي مالك؟ طب لو اتفتحت وما اتسدتش؟

- يعني إيه؟ إيه الهبل ده؟ كل واحد قادر على إنه يتعامل مع الحياة. كل بني آدم فينا عنده كل الحلول وكل القدرات للتعامل مع أي موقف يتحط فيه.

- آه. بأمارة المرات اللي إتمرمغتي فيها في العياط. عايزة يحصلها كده؟ ما تسيبيها عايشة زي اللي عايشين.

- زي ما كنت أنا عايشة قصدك قبل كده.

- قبل ما تعملي زوبعة في فنجان.

- دي مش زوبعة. ثم مالها الزوبعة؟ ما بيكون بعدها فيه قوس قزح.. رينبو يا أستاذ يا فكيك إنت.

إيـــــه ده!! إنت مش أنا! إنت الصرصار!

طلعت الفليت وتخلصت منه بسرعة.

نظرت لإيمان وجدت دموعًا تترقرق وبإباء وشمم ترفض النزول وشبح ابتسامة شاكرة يتمايل على شفتيها. أدركت أنه لا داعي لمزيد من الكلام.

احتضنت كل واحدة فينا الأخرى وفي صمتٍ اتفقنا.

الصرصار المحتاج

- يا أهلًا وسهلًا بالحلوين.

- إيه الجمال ده.. بقينا بنصبح يا ست الكل.

- معلوم ده إنت عشرة عمر يا راجل علي رأي أمينة.. نِفسك في ايه النهارده؟

- نفسي في حب، نفسي في اهتمام، نفسي في رعاية.. نفسي في قلب كله حنان.

- قول يا عم وإشجيني.. قسِّم وسمعني.

- نفسي أطير من غير جناحات ولما أحط على وش حد مايهشينيش وهو قرفان.

- (بابتسامة مقبوضة) لا جديدة دي.. ما أوعدكش.

- نفسي أصحى ألاقي فطار أشكال وألوان.

وألاقي سلام ف كل الاخنان

وألاقيني فرحان

نفسي بجد افرح.. ايووووه أنا تعبان

وتعبت م التعب يا إيمان

- يا عيني يا اخويا.. ألف سلامة عليك.. (ولسان حالي بيقول إنت تعبان إنت، ده إنت تتعب بلد الله يهدك قادر كريم كمان وكمان).

- عارفة؟

- إيه؟

- نفسي يشوفوني من جوه مش من لوني البراني

نفسي يستنوني ولو مرة.. مايزعلوش من طيراني

نفسي أقب على وش البلاعة.. زهقت م العيشة التحتاني

- الله الله، يا حلاوة يا ولاد.. تقب أكتر من كده؟ ما تيجي تعيش بدلنا ع الأرض أحسن..

- يلَّا أهي كلها أحلام.. وإنتي يا ست العرايس نِفْسك في إيه؟

- نفسي تغور وتسيبني أنام يا عمو الحساس.

- مش قبل أما تقوليلي.. نفسك في إيه، يمكن أساعدك.

- مين قال إني محتاجة مساعدة.

- كلنا محتاجين.. وكلنا عايزين اللي يساعدنا وياخد بإيدنا.

- إلا أنا.. لا محتاجة، ولا عمرى احتجت، ولا عمري حاحتاج، وإلهي وإنت جاهي ما تحوجني يارب.

الاحتياج ده يعني ضعف.. يعني إنت فرفور كده.. يعني مذلة وبهدلة وقلة قيمة.

- يعني إنتي عايشة كده بطولك من إمتى يا ترى؟

- طول عمري. أنا عمري ما اتسندت على حد. ولا احتجت أتسند على حد.

الاحتياج ده يعني إنت مستني اللي يديك.. ويا تاخد على وشك، يا تتنيل وتمشي مدلدل حزين.. فعلى إيه خُد إنت في وشك أحسن وخدها من قَصيرها وخليك واقف بطولك علي رجليك قوي محدش يلوي دراعك ياصراصيرو يا عفوش إنت..

- يعني إنتي عمرك ما طلبتي مساعدة من حد؟

- ولا سَبت ولا تلات..

- أبدًا؟

- افهم. أنا ظهري. وظهري ده مهما وجعني فهو ظهري. وأنا، بس عشان إحنا عِشرة قديمة، بقولك إنه وجعني.

لكن نصيحة إوعى تقول لحد إن جناحاتك بتوجعك ولا تعبت من البلاعات والكلام الطري اللي قلتهولي في الأول ده.

- ليه كفى الله الشر؟ هو سر؟

- العالم مكان خطير. لو عرفوا نقطة ضعفك هيجولك منها.

- أيوه صح. بيعملوا كده وألاقي الشبشب جاي على دماغي.

طب والله شاطرة . يعني عندك اعتماد على النفس.

Strong independent womanما شاء الله. طيب وعلاقاتك عامله إيه؟

- الحمد لله. بص أنا أساعد وأدافع عن الناس. أنا مش ندلة، بالعكس. الكبير قبل الصغير بيعمل لي حساب. لما يتزنقوا في أي مصيبة عارفين إني أسد. ماحدش يستجري يهوّب ناحيتي. قلتها وقد بدأ صوتي في الاخشوشان وجحظت عيناي وبدأت جفوني بالارتعاش ولكني لم أبالِ.

- و لو حد داس لك لا سمح الله على طرف بتعملي إيه؟

- مين ده اللي يدوس؟ أنا أفرمه. ألسعه فين يوجعه.

- جايز بيحافوا منك عشان كده مش بيساعدوكي.

- جرى إيه يا سيادة الصرصار. قلتها بصوت جهوري. أنا مش محتاجة مساعدة ولا عمري ما اعتمدت على حد.

مالك باصصلي بغباوة كده ليه.. إذا كان قصدك لما كنت مزنوقة في تحضير الورشة وطلبت من واحدة صاحبتي تعدي تاخد العيال م المدرسة دي مش مساعدة،أنا أفضالي مغرقاها من ساسها لراسها أصلًا دي يادوب بتحاول ترد اللي عليها.

ولما كنت عيانة وعدت عليَّا جارتي عملتلي أكل، هي اللي تطوعت تعمله محدش طلب مساعدتها اصلًا وكنت لسه جايبالها هدية بالشيء الفلاني أساسًا، يعني أقل حاجة تعملها الصراحة.

ظلَّ ينظر لي بنفس الغباوة المستفزة فأكملت:

- ولما كنت مسافرة شوية ورجعت لاقيت أختي منضفة البيت ومالية التلاجة، طب ما ده طبيعي.. عادي.. واجب عليها طبعًا..

إنت بتضحك على إيه بشراشيبك دي يا تعيس؟

- مبسوط.. فخور.. حاسس إن مجهودي طول السنين دي ماراحش هدر..

الصرصار المذنب

- يؤسفني أقولك..

- إيه؟ إيه؟ ألو ألو. يا بنتي سامعاني ولّا مش سامعاني؟

يا دي النيلة. يادي النيلة. أنا لسه بقول اليوم هيعدي على خير. يا ترى إيه المؤسف اللي حصل؟

أحاول جاهدة الاتصال مرة أخرى، ولكن لا جدوى. الخطوط كلها تآمرت ضدي.

أفكر في نفسي. ماذا بَعدُ؟؟ أنا بيركبني سبعمية عفريت لما حد يقول لي عايز أتكلم معاكي. ودي حتى ماقالتليش كده. دي يؤسفها كمان!

- وبعدين يا منمن. خايفة من إيه يا ماما؟ ده إنتي شحطة مَلْو هدومها. فيه إيه؟

- ما أعرفش. هو كده. محدش يقولي عايز يتكلم معايا. أكيد وراها مصيبة.

وهنا رأيته ابن الإيه ولو إنه بكل صراحة "يصعب على الكافر". صرصار صغير غير بقية الصراصير، يحمل ما يبدو وكأنها حقيبة مدرسية مليئة بالكتب والكراريس. نظرت له طويلًا وأنا أفكر أهو الصرصار المجرم حقًّا أم أنا؟ أم هم؟

- أهلًا بيك.

- أهلًا أهلًا يا منمن.

قالها بصوت متعب وملبد بالغيوم.

- أيوه خير؟

- وحييجي منين الخيريا بنتي؟ هو إحنا ورانا غير المشاكل بتاعتك. شاكستي مين المرة دي.

- "شاكست" إنت جاي من أنهي عصر بالظبط؟

نظر لي نظرة كلها تأنيب وهو يقول : من السبعينات من ساعة ما كنتي حضرتك في ابتدائي!

أخرسني ابن الإيه. ده طِلِع قدي أو حتى جايز أصغر مني!

- أنا ما عملتش حاجة. والله ما عملتش حاجة.

- ما قلتيلهاش كلمة تضايقها؟ ولا أسهبتي في الحديث؟

- بغض النظر عن "أسهبتي" لا ما أسهبتش.

- ما ضايقتيش حد؟ ما نخورتيش في حاجة في الشغل؟

- لا.. ما أظنش.

- أكلتي العيال أكل عدل على الفطار؟

- أيوه.

- طب والغدا؟ هياكلوا إيه؟ ما بيكلوش خضار كفاية على فكرة.

- معلش.

- ومصاريفك زادت. كان إيه لازمتها البلوزة دي؟

- يا أخي دي فلوسي.. شقايا.

- وحتتأخري برده في الشغل؟

بدأت أشعر بكل ذرات الأكسجين تغادر جسدي الذي امتلأ بثاني أكسيد الكربون الخنيق.

- إنتي مبذرة. إنتي أنانية.

- لأ مبذرة جايز .أنانية لأ. أنانية إيه؟

- مش إنتي ناوية تخرجي وتسيبي العيال؟

- عيال إيه؟ ده أنا بنتي بتشتغل خلاص، وابني في ثانوي.

- و حياكلوا إيه؟ والكلب؟ والقطط؟ الكلب محتاج يتمشى.

أعافر لآخذ نفسًا من الهواء.

- طب وإنتي أكلتي هيلثي على كده النهارده؟

- حرام عليك يا أخي. ده أنا لما آاخد بالي من نفسي وأروح السبا ولا أقعد أريح وأشرب شاي بمزاج بتحسسني بالذنب ولما ما آخدش بالي من نفسي برضو بتحسسني بالذنب. وأنا بشتغل بأحس بالتقصير ناحية بقية العالم وأنا مع أي حتة بكون مقصرة في الحتة التانية. ما هو أنا مش زي القطط بسبع ولا تسع أرواح. أعمل إيه عشان أسكتك؟

- أنا عايز مصلحتك. ركزي معايا. افتكري زعلتي صاحبتك في إيه؟ أكيد عملتي حاجة. أو قصرتي في حاجة.

وإذا بي أجد ذلك الصرصار المحني من شنطة المدرسة قد تحوَّل إلى صرصار مخابراتي قديم يوجه الكشاف إلى وجهي في محاولة لكشف المستور، والحصول على اعتراف مكتوب منِّي بقائمة البلاوي التي ارتكبتها في ذلك اليوم، والمسئوليات التي لم أتحملها على أكمل وجه.

وهنا وجدت حجمي قد بدأ يتضاءَل. وانحنى ظهري. ووجدت غمامة سوداء مثل عادم السيارات تنبعث من صدري.

- إلحق إلحق. أنا بولع ولا إيه؟

- لا ما تقلقيش .إنتي كل مرة بيحصلك كده.

- كل مرة؟؟

وإذا بي أفيق من ذلك التنويم شبه المغناطيسي الذي جرني إليه، في محاولات فاشلة من التبرير لجرائم لم أرتكبها في حق البشرية.

- إخص عليك وعلى منظرك. يا هادم الملذات. حنيت ظهري أنا منك لله. وياريت فيه منك أي فايدة.

- أنا ضميرك الحي يا آنسة.

- مدام. مدام من فضلك. يا اللي مش داريان بعيشتك. ولا بعيشتي. إمشي انجر بعيد.

- وأسيبك كده ترتعي في ملذاتك؟

- يا عم اتلهي هو أنا عارفة أتلفت ولا أخرج وإنت معايا. حتى خروجاتي بقت مهمة رسمية.

إنت مش ضميري الحي، إنت بتشيِّلني الهم، وحتخليني قريب ضمير الغائب.

- يا مدام..

التفت وبحركة لولبية سريعة أدرت الكشاف في اتجاهه هو ففر سريعًا.

جريت أنا الأخرى. أجدني ثقيلة.

الحقيبة المدرسية كانت وأظنها ما تزال على ظهري أنا.

تحسستها برفق، ثم بغضب، ثم بإشفاق.

ألقيتها أبعد ما يكون عني..

وانطلقت!

الصرصار المضغوط

- أنا حاسة إني ورايا الدنيا بحالها.

- دي حاجة كويسة. إنتي بتحبي تعملي أكتر من حاجة في نفس الوقت.

- أنا ليه دايمًا بعمل كده في نفسي؟ خايبة!

- دي مش خيابة.. دي شطارة.. إنتي ست منجزة. وبتعرفي تسابقي اللي حواليكي، وبتسابقي الزمن حتى ساعات.

إنتي ذكية. متميزة. أحسن من الكل!

- طب أُمَّال أنا زعلانة ليه؟

- إنتي زعلانة؟! (باندهاش واستنكار صديق قديم يعرفني حق المعرفة).

- أنا بس حاسة إني مش عارفة آخد نفَسِي.

- كل مرة بيحصل كده..

وعادي جدًّا.. بتكملي، وتنجحي، وتخلصي كل اللي وراكي بتفوق ونجاح.

وراثة يا بنتي!!

- لأ.. المرة دي مش زي كل مرة.

- إزاي يا موون؟!

- حاسة إني مضغوطة قوي.

حاسة إني مش لاحقة.

حاسة إني متلخبطة.

الكركبة كتير المرة دي، أكتر من احتمالي.

- خلاص.. خفيفيها..

وقّفي شوية حاجات وخليكي خايبة بصحيح.

- .....

- بتبصيلي كده ليه؟ مش إنتي اللي مش قادرة وعايزة تخيبي آمالنا فيكي.

- آمالكم.. فيا؟! إنتوا مين؟!

- إحنا أهلك، وأصحابك، وحبايبك. كل الناس اللي تهمهم مصلحتك.

تعبنا كتير عشانك.

استحملنا ياما عشان توصلي، وتبقي، وتنجحي.

دفعنا كتير كمان.

والأهم سِبناكي تعملي ما بدالك. وإنتي مجنونة الشهادة لله يعني.

وبالرغم من كده وافقناكي على جنانك عشان بنحبك.

حققي آمالنا فيكي بقى.

- طب وأنا؟

- إنتي إيه؟

- أنا فين من كل ده؟

- مش اختياراتك دي؟

مش إنتي اللي بتحطي الليستة كل مرة. كان حد ضربك على إيديك؟

- مش عارفة أقولك إيه..

- مش محتاجة تقولي. إنتي عارفة إن اللي بقوله صح.

روَّقي كده، وقومي اغسلي وشِّك، وشوفي اللي وراكي واخزي الشيطان يا بنتي.

إنتي طول عمرك قوية، وقدَّها وقدود.

(ساد الصمت المكان. أفكر فيما قال. أعلم أن هذا الكلام يطنّ في أذني منذ ولادتي. الكل يعيدون على مسامعي هذا مرارًا وتكرارًا. أصدِّقُهم. وأمضي في طريقي. أحقق ما أحقق، وأفقد ما أفقد، ولا أبالي. لكن شيئًا ما بداخلي اليوم يرفض بشدة أن يرقص مع الذئاب).

- بس أنا مش قادرة.

لأ.. أنا مش عايزة.

مش حاسة إني حابة أعمل كده المرة دي كمان.

- خاييييبة.. مش بقولك شيطان.. ولا يمكن عين وصابتك يا بنتي.. "قل أعوذ برب الفلق".

- أنا عايزاك تتأسف لهم..

قلهم إني بحبهم..

قوي.

بس ياريت هما يقبلوني زي ما أنا..

حتى وأنا

بالذات وأنا..

خايبة!!

الصرصار القديم

جلستُ أختَلِي بنفسي في إحدى المقاهي. اخترت مكانًا في الركن البعيد الهادي "ترابيزة في الخُن ومتدارية كده وقطقوطة". "والكافيه كمان ظريف ورِيحُه خفيفة وشِرِح. وآدي قعدة نطلع الكشاكيل والأقلام ونديها أريحية ودماغ عالية".

طلبت مشروبًا وطبق حلو والذي منه ونظرت إلى شمالي وخير اللهم اجعله خير ياربي إذ بي أجد الحلو مشَّرفني على الأريكة ممددًا فاردًا جناحيه واضعًا إحدى رجليه المشرشرتين على أختها راسمًا نفس الابتسامة المقنفدة!

حاولت التخلص منه تارةً "أهشه" ولكنه لا يهش! "أكِشه" فلا يتحرك. قمت أخيرًا في حركة بوليسية سريعة بإخراج الفليت من الحقيبة ولكن لا يطرف له رمش وكل ما يفعله هو الاستمرار في غناء أوبرالي عنيف (وسخيف أيضًا) "البنت زي الولد.. مَهِيش كمالة عدد" ولا سعاد حسني في زمانها وعز مجدها.

- نفسي أكون بنوتة زي كل البنات.

- مالك داخلة عليا بزعابيبك كده كفا الله الشر.. استهدي بالله وسلمي طيب الأول يا بنت الناس.

- بنت إيه بس ف المجتمع الذكوري المسترجل اللي إحنا مدفونين فيه ده يا شيخ.

- إيه بس حيلك شوية.. إيه اللي جرى عشان كل ده.. ذكوري وخشنفري وبعجري.. حصل إيه؟

- ماحصلش.. بعمل كل حاجة في البيت م الإبرة للصاروخ وأخويا التنبل نايم طول النهار ومع أصحابه طول الليل وأنا اللي بصرف وبتخانق وبحاسب وبخلي بالي من ماما والبيت والعمارة والحي كله.. حاجة تجن.

- ومين قالك تلعبي دور مش دورك؟

- ايوة.. جينا لمربط الفرس..

- مين بقى.. يا ترى الظروف هي اللي بتفرض عليكي تلبسي توب غير توبك وتلعبي دور غير دورك ولا ده باختيارك يا شاابّة؟

- باختياري طبعًا!

- ايه الطعامة والسهولة والسلاسة في الأداء اللي إنتي فيها دي يا حيلتها، كده.. بمنتهى البساطة كده.. تعترفي إنه باختيارك طبعًا؟

- معلوم.. أمّال إيه.. باختيار الجيران يا أم ناجي؟

- لأ مش الجيران. بس بذمتك لو الظروف كانت غير، كنتي فضلتي تعملي كل ده؟ أنا على اقتناع تاااام إن الظروف هي اللي بتشكِّلنا وتغيَّر مصايرنا وتحدد أدوارنا وتقرر مشاورنا.

- خدعوك فقالوا أيها الصرصار.

- لأ بقى خدعوكي إنت.. ومن زمان.. وبطلي دورات البتنجان في الشمام اللي بتتعاطيها وتحقنيهالنا كل شوية دي وتطلعي تقولنا "إنت ما تتمنيه"، "موجود وتستاهليه"، "دوري جواكي تلاقيه"، "اللي بتفكري فيه حتشديه".. وأشده ويلسعني برضو عاادي جداا.

ضحكات كتيبيرة مش مفهومة ولا معلوم مصدرها. أفيق منها على صوت غناء "سئيل".

- وتاني تاني تاني

راجعين للحيرة تاني

للنار والعذاب

من تاني.. من تاااااني

- وليك نِفس يا وارد المستنقعات يا ابن الصراصير تغني كمان وتدندن؟

- طب واحدة واحدة وبالراحة كده، مش إحنا أول ما بنتولد بنكون بفطرتنا السليمة الشريفة الطاهرة العفيفة؟

- أكيد.

- وبنفضل نعمل كل اللي على هوانا واللي يخطر في بالنا وفاكرين الدنيا بمبي ووردي وكل اللي عايزينه نقدر عليه وكده.

- متفقين.

- والبنوتة تطلع من جوانا عادي وتلبس فساتين وتعمل ضفاير وتشتري عرايس وتجيب أساور وتقعد ساكتة هادية في حالها في منتهى الأدب والأخلاق.

- شوف إزاي.

- وفجأة بقى يموت الأب ويستندل الأخ ويتنكر الحبيب وتلاقي نفسك سلوتة ملوتة بطولك كده بتواجهي الوحش وألف مين في رقابتك ومسؤولين منك أكلهم وشربهم وعلامهم وتربيتهم وأمانهم وأمنهم وسلاطاتهم وبابا غنوجهم.. وكل حد معدي يشيّلك شوية ويرمي عليكي تقوليش جبل يا أختي.. واللي يقولك إنت صمام أمان الأسرة واللي يقولك إنتي بمية راجل واللي يقولك أجدع وأقوى منك لم ترَعيناي

واللي يقولك ما يجيبها إلا ستاتها.. واللي يأكد عليكي في الجاية والرايحة" لا بس إنتي قدها وقدود وقوية" كأنها حاجة ظريفة وفي الآخر تلاقي واحد كمان يقولك ده انتي أرجل مني!!! بعد كل ده تقوليلي اختيار!!!

- بالهداوة كده طيب.. أنا معاك في كل اللي قولته بس العبرة بقى بلحظة المكاشفة..

- افصحي يا عبقرينو عصرك وأوانك.

- من غير تريقة.. ف الأول فعلًا بيكون الواحد مجبور يتحط في القالب اللي عايزين يشوفوه فيه، سواء دول يكونوا الأهل ولا الأصحاب ولا المدرسة ولا الجامعة ولا المدربين في النادي ولا الناس اللي ليهم في قلوبنا معزّة وتقدير ولا المجتمع بشكل عام.. كل دول عايزين يشوفونا بشكل معين.. واحنا عايزين نكون متشافين ومقبولين ومرضي عننا ومحبوبين.. وده من وإحنا لسه في اللفة لأن الرفض إحساس من أصعب ما يكون والكل بيهرب منه بالمشوار وبيرضى يدفع التمن حتى لو كان ده على حساب حريته وشخصيته وأفضلياته

- كلميني عربي احياة أبوكي.

- يا سيدي قصدي إن كل واحد فينا بيرضى بالدور اللي مفروض عليه عشان يكسب حب وقبول اللي حواليه.. لحد إيه بقى؟

- إيه بقي يا سقراط؟

- تريقة تاني.. معلش.. نعديهالك المرة دي.. لحد ما نتواجه بالحقيقة دي وحد يحط مراية قدامك وتشوف نفسك من غير زواق ولا تجميل. وتشوف كمّ الأقنعة اللي إنتي لابساها والهدوم الميري والشنبات والكتّافات يا ويلداه.

- اااه تقومي بقى لاعبة دور البنوتة ويبان ضعفك ويستغلوكي ويدوسوا عليكي ويشوهوا اللي باقي فيكي.

- ليه ليه كل ده؟

- هوه كده.. البنت يعني ضعف يعني حوجة يعني نقط يدخلولك منها ويعرفوا إزاي يوجعوكي.

- وهيا الرجالة ملهاش ماسكة يعني ولا ما بتتوجعش؟! ما كل الناس بتتوجع مش البنات بس.

- لا بس محدش بيستغلهم.

- مين قال كده؟!.. ياما شفت رجالة كتير طيبين وفي حالهم ومشاعرهم أهم حاجة عندهم وبيدوا من كل قلبهم وساعات حتى بيتبادلوا هما الأدوار طواعية عشان يمشوا المركب ويعدوا الأيام.

- يا سلام يا سلام.. إيشي خيال يا ناس.. سبحان مين أبدعك.. إيه الفتش اللي إنتي بتقوليه ده؟

- أنا بقول حاجات شفتها وعشتها كمان في بعض الأحيان.

- آسف إني أقولك أن كل شهاداتك وخبراتك دية فشنك آخر حاجة وإنك عايشة في عالم موازي غير موجود ع الأرض يا إستاذة.

- خاالص على فكرة.. بس بجد.. لحظة ما تعرف الواحدة إنها بتلعب دور حد تاني وتقتنع بده بيكون خلاص الأمور في إيديها هي وكل خيوط اللعبة عندها وعليها هي إنها تحدد أي طريق عايزة تكمل فيه وأي شكل عايزة الناس تشوفها بيه.. وتعرف تبقى بنوتة تقدر تحمي نفسها مع احتفاظها بأنوثتها وشكلها بالشكل اللي يريحها. ساعتها بس محدش حيفرض عليها حاجة ضد طبيعتها ولا حد حيستغل شعرة من أشياءها.

لولا الملامة يا هوى لولا الملامة

لافرد جناحي ع الهوى زي اليمامة

واطير وارفرف ف الفضا

- يالا يا ابن الملزوقة غووووور وطيييير وورينا عرض جناحاتك..

صرصار رِخِم صحيح!

الصرصار المتردد

- طيب ما أنا أعرف منين إن ده هو أحسن شغل في التلاتة؟ يعني أرفض الأولاني ده؟ أعتذر ولّا إيه؟

- شوفي إنتي حابه إيه أكتر.

- ما هو كل واحد فيه ميزة. وأنا خايفة أختار غلط.

- أنا فاكرة إنك برضو كنتي محتارة كده في موضوع الخطوبة بالرغم إنك كنتي بتحبيه.

- بصي أنا كل الحوارات عندي كده. بخاف لايكون فايتني حاجة. بخاف لاحسن أختار غلط. مش عايزة قراراتي تبقى مش صح.

- إنتي الوحيدة اللي تقدري تاخدي قراراتك .

- ولوطلع مش أحسن حاجة؟

- بصي يا ستي فيه قاعدة بتقول إن "كل إنسان بيختار أحسن اختيار بالنسبة ليه في اللحظة دي"

"People make the best choice at a certain moment in time."

يعني كل واحد بيختار أفضل الاختيارات المتاحة في لحظة ما. بمعنى آخر إن دلوقتي أفضل الخيارات اللي عندي هي كذا. يمكن بعد شوية، يوم ولا اتنين ولا حتى ساعة، الاختيار يختلف، وده لاختلاف الظروف الداخلية والظروف المحيطة

والمستجدات اللي كل شوية بتتغير. إحنا نفسنا بنتغير يا ميرنا. وعليه، مفيش حاجة أبدًا في قانون البشرية يبقى اسمها "ندم" ولا "خطأ" لأنك ببساطة اخترتي أفضل الخيارات من وجهة نظرك "الآن"..

- يا سلام. طب وبعدين؟؟ لما مايبقاش الصح؟

- ساعتها هنحتاج نجمع شوية معلومات تاني وحسب الظروف وحسب احتياجاتنا وإحساسنا نحتاج نعمل قرار أو اختيارجديد وال "آن" ده متغير زيك بالظبط ووجهة نظرك كمان.

- دي كارثة. قامت ميرنا ذات الثلاث وعشرين ربيعًا وأخذت تجول في الغرفة وتنشرحولها مجموعة من الصريصرات الصغيرة التي أخذت تجوب الغرفة هي الأخرى ذهابًا وإيابًا.

- كارثة ليه بس؟

- عشان هعمل غلطات وأروح في داهية. ومش هسامح نفسي. أنا لازم كده آخد وقت طويل قوييييي قبل ما أختار.

- ماهو لو ما اخترتيش ده هيكون برضو اختيار يا حلوة

هنا "كلضمت" ميرنا وكأنها كانت تبحث عن حل سحري في متجري وأنا خذلتها.

- خليني أقولك مبدأ تاني مهم قوي الحقيقة

Life is a choice and NOT to choose is in itself a choice."

"الحياة اختيار، وعدم اختيارنا في حد ذاته اختيار.

- يعني إيه بقى؟

- يعني لو ما اخترتيش شغلانة من اللي معروضة عليكي هتروح لحد تاني وهتكوني رفضتيها بس كمان من غير اعتذار.

- أصل الاختيارات مش أبيض وأسود. كل حاجة مختلفة.

- هوه ده مثلًا آخر اختيار في حياتنا؟ هتختاري طِبقًا للقاعدة الأولانية أنسب حاجة ليكي في الوقت ده. اسمعي. أنا فاكرة وأنا في أولى جامعة قابلت راجل بالنسبة لي ساعتها كان كبير فى السن. كان خال واحدة صاحبتي. متهيألي كان في الخمسين كده وقعد يكلمني عن مهارات الاتصال وقال لي إنه ومراته اتطلقوا وجايز هو ما كانش أحسن حاجة وقتها واتعلم من الموقف ده، وبصراحة هو كان باين عليه الحكمه والعمق. وبعدين قال لي إن في حينها ده كان أكتر حاجة صح في نظره ساعتها وهو كان أحسن شخص ممكن يكونه ساعتها على قد معلوماته وخبراته في الوقت ده. هوما قالهاش بلامبالاة بس أنا برضو ساعتها ما فهمتش. ولو إن الجملة فضلت معايا لحد دلوقتي. المهم أنا بقولك كده علشان فعلًا في اللحظة دي ده كوني أحسن ما عندك وقرري أحسن اختيار ليكي دلوقتي.

- يعني كل واحد لا مؤاخذة يعك وبعدين يقول ده أحسن حاجة عندي؟

- يقول لمين يا ميرنا؟

- - - - -

- المهم اللي بنعرفه جوانا بجد ونقوله لنفسنا.

- ولو غلط؟

- طالما الواحد عمل أحسن حاجة عنده في لحظة معينة، هو ما يقدرش يتحكم في النتيجة. بالبلدي كده يعني مش مغسِّل وضامن جنة. آراءنا بتتغير والدنيا بتتغير. وكل تغيير حبيبتي أهم حاجة فيه تاخدي منه درس. تشوفي حاجة بشكل جديد. تعرفي نفسك بشكل أحسن. ثقي في مخك وفي إحساسك.

نظرت لي ميرنا بعينين ما زالتا مليئتين بالحيرة وابتسامة تقول "اتكلنا على الله".

الصرصار الغاضب

التقينا أول مرة في حفلة رأس السنة في منزل أحد الأصدقاء. آنسة لطيفة في الثلاثينيات من العمر. تضحك وتمرح طوال الوقت مع كل من حولها. كلما سألتها عن أمورها أجابت "الحمد لله، كله تمام، زي الفل". لكنك تستطيع أن ترى بوضوح شديد صمتًا حزينًا في عينيها الزرقاوين. جاءت إليَّ بعد أن حضرت عدة كورسات للتنمية الذاتية، واكتشفت من خلالها أنها تفتقد شيئًا ما بداخلها لكنها لا تعلم تحديدًا ما هو. ناجحة في عملها، محبوبة من أسرتها، لديها الكثير من المعارف والأصدقاء، مستورة وصحتها كويسة. غير مرتبطة، وتقضي أوقاتًا كثيرة بصحبة الكتب والألحان. تقابَلْنا مرتين، تحدثت في الأولى بشكل عام عن نفسها، وحياتها، وأهدافها، وكل ما يتعلق بها، إلا موضوعًا واحدًا لم تجرؤ على التحدُّث فيه. ولم أرغب أنا أن أحدثها فيه رغمًا عنها.

الكلام عنه جاء وحده في اللقاء التاني. اكتشفت جرحًا عميقًا بداخلها، من تجربة قديمة هزت كيانها بعنف. حكاية من العشق الجنوني الذي تسمع عنه فقط في الأساطير والأفلام، انتهت بخيانة مريرة وصدمة شديدة غير قابلة حتى لمجرد النقاش من وجهة نظرها. بكت بحُرقة طوال اللقاء، احمر أنفها وخداها بحرارة. أخرجت كل ما بداخلها من ألم. تنفست بعمق بعدها ثم رحلت. في المرة الثالثة كانت أكثر اتزانًا ولكن أكثر غضبًا أيضًا. أخبرتها أن ما تفتقده غالبًا هو الإحساس

براحة البال والصفاء الداخلي، وهذا لن تحصل عليه "لو ما اشتغلناش" على قصة الحب المؤلمة دي. سألتني "إزاي حنشتغل عليها يعني؟" أجبتها "محتاجين نطهَّر الجرح القديم ده.. وأحسن مطهر ليه هو التسامح."

- أسامح مين؟

- تفتكري مين؟

لحظات من التفكير، ثم الصمت وعدم الاقتناع.

- بس أنا مش لازم أسامح.

- ليه؟

- لأني حأغفر. ولو غفرت حأنسى. ولو نسيت حاتجرح تاني.

- وإيه اللي حيحصل لو اتجرحتي تاني؟

- حاتوجع قوي تاني.. وحقع قوي تاني.. ويمكن ما أقومش المرة دي.

- هو مش إنتي كنتي فاكرة إن ده أكبر جرح في حياتك، وأعظم وجع، وأوحش وقعة؟

- أيوه.

- وإنك مش حتقومي بعدها أبدًا؟

- أكيد.

- وإنتي فين دلوقتي؟

- هنا أهو.. بتكلم وبحكي وبعيط بالدموع.

- وبعد كده حيحصل إيه؟

- مش عارفة.. حاحزن شوية، يمكن كتير.. حأكتئب جايز.. حانعزل شوية مع

نفسي كده.. وبس خلاص.. حروح الشغل، وأكلم اصحابي، وأخرج وأسافر وأعيش، عادي يعني.. أصل الحياة لازم تستمر..

- ويا ترى عايزاها تستمر إزاي؟

- تستمر كويس..

- كويس يعني إيه؟

- يعني أكون سعيدة ومبسوطة ومرتاحة.

- وتفتكري ده ممكن يحصل وجواكِ كل الغضب ده؟

- مين قال إني غضبانة؟

- لأنك مش عايزة تسامحي.

- السماح حاجة والغضب حاجة.. أنا مش حاسة بالغضب من جوايا ناحيته خلاص،أنا بس مش عايزة أسامحه.. (بشيء من الحدة والانفعال) وبعدين هو مايستاهلش السماح أصلًا.. واحد زي ده مايستاهلش إنه يعيش من أصله، مش إن الواحد يسامحه كمان!

ابتَسَمتْ قليلًا.. نَظَرَتْ إليَّ وكأنها علمت ما أريد قوله.

- بس أكيد إنتي تستاهلي تعيشي "سعيدة ومبسوطة ومرتاحة"، زي ما إنتي عايزة وأكتر كمان.

ناس كتير عايشة بكم غضب كبير جواها. اللي غضبان من أبوه عشان عمره ما خده في حضنه مرة في حياته وأهو مات وسابه مش عارف معنى الحنان. واللي غضبان من أمه عشان سابته لحمة حمرا ونزلت شغلها عشان تأكِّله هو وإخواته وبيدوَّر دلوقتي على زوجة مقيمة مابتشتغلش. واللي غضبانة من أخوها لأنه طول عمره مفضَّل عليها وواخد منها السوكسيه كله. واللي غضبانة من جوزها حتى بعد

ما سابوا بعض خلاص، لأنه كان بيسيء معاملتها. واللي غضبان من عياله لأنهم من وجهة نظره جاحدين ومحبطين لكل آماله اللي كان بيحلم يوم يحققوهاله. واللي غضبان من بلده والعيش والعيشة واللي عايشينها. واللي غضبان من شغله وهمه وقرفه وبرضو قاعد فيه لأن من وجهة نظره مفيش حل تاني متاح دلوقتي.. والقايمة طويلة بطول حكاية قابيل وهابيل لحد يومنا هذا. كل ده "غضب" مكتوم وهدّام ومدمِّر.. كل ده حمل، شايلاه الناس على كتافها جبال وبتتعجب ساعات ليه مش قادرة تكمِّل وتوصل في الحياة!

تخيلي بقى لو كلللل ده مكانه بساتين كبيرة بشجر وزهور وطيور وينابيع، وسما زَرقا بلون عينيكي كده، وشمس دافية ونسمة حلوة تعدِّي عليكي وكل ما تحلمي بيه.. تخيلي كده ممكن إنتي وغيرك تحسوا بإيه ساعتها، وتقدروا تحققوا إيه؟

لم ترد. حدقت بي دقيقة. اكتفت بإيماءة بسيطة. لمحت في عينيها كل الموافقة التي أحتاجها كي أخرج مبيداتي الفتاكة لهذا الصرصار اللعين، الذي أشعر أنه بدأ يترنح بالفعل.

- والأسلوب ده ينفع كمان مع حد مات ياترى؟

- الحمد لله أيوه. المهم اللي جوانا إحنا يا سيدتي، المهم اللي جوانا إحنا!

- وينفع مع النفس؟

- ده هو أصلًا للنفس.. لو ماعرفتيش تسامحي نفسك أولًا، عمرك ما حتعرفي تسامحي غيرك. السماح أسلوب حياة.. كل ما بتطبقيه كل ما بتتعودي عليه وتلاقيكي بتعمليه كده عادي كأنك اتولدتي بيه. وتفضل بساتينك جواكي طول العمر.

لمحت شبح الابتسامة إيّاها التي أعرفه جيدًا في هذه المواقف. عرفت أن اللحظة المرتقبة وشيكة.

طلبت منها أن تجلس جلسة مريحة. وأن تتنفس بهدوء وبعمق. طلبت أن تحكي لي ما تريد أن تحكيه من الحكاية القديمة. بدت وكأنها مذهولة حين نطقت اسمه "هيثم" وكأن مسمعه على أذنيها أصابها بالألم، بدأت الدموع تنهمر منها على استحياء في البداية "أنا أصلي حبيته قوي". ثم علا صوتها الباكي المنتحب. تقطعت أنفاسها وتواصل دمعها المنهمر كالمطر وهي تقول "كنت فاكرة إن ربنا عوضني به عن كل حاجة". تركتها تخرج كل ما في جعبتها من مشاعر حبيسة مؤلمة، هدأت بعد مدة طويلة نسبيًا. كانت عباراتها غير مفهومة في أول الأمر، حيث كان الدمع يتخلل كل كلمة تقريبًا. مع الهدوء النسبي الذي بدأ يتخلل الموقف، وضح كلامها رويدًا رويدًا واتزن. حكت كل شيء بتفاصيل شديدة تصورت هي أنها نستها كليَّة منذ مدة. عندما يكون الجرح عميقًا تكون التفاصيل بعُمق الجرح.

أخرجت السلاح الفتّاك، سميت الله وتوكلت عليه وتجرأت وسألتها في ثباتٍ وحزمٍ:

- تفتكري هوعمل كده ليه؟ إيه اللي كان ناقصه ساعتها؟

- واطي وابن... (الرقابة تمنع هنا سرد هذه السيل القبيح)

- كويس.. كان إيه اللي ناقصه ساعتها؟ إيه اللي لو كان عنده ماكانش عمل معاكي كده؟

فاجأها السؤال وكأنها أول مرة تسمعه. فتحت فمها بأمارات غضبٍ وضِيقٍ، وضح معها أنها كانت على وشك تكملة السيل القبيح إياه. لكنها توقفت. نظرت لأسفل، بان عليها التفكير العميق والألم. تصببت عرقًا خفيفًا. وأخيرًا قالت:

- مش عارفة يا إيمان.. مش عارفة حقيقي.

تنفست بعمق وصمت. أغلقت عينيها. أطاحت برأسها للخلف لتستند إلى الحائط. لم أتكلم أنا بتاتًا. أخيرًا قالت:

- حقيقي مش عارفة أفكر ومش لاقية له أي عذر ولا أي حاجة تخلي بني آدم يعمل كده في أي حد يعرفه أو ما يعرفوش.

ثم أكملت:

- بس هو أكيد مسكين. محدش يفقد حد بيحبه زيي غير لو كان غبي وأكيد فيه حاجة غلط.

- زي إيه؟

- إمممممم.. أعتقد يا ستي الثقة بالنفس والإحساس بالأمان. ليه حيؤلم حد لو هو مستريح أصلًا ومتطمن؟ أكيد كان محتاج يملا نقص عنده.

- وإيه كمان كان ناقصه؟

- والأخلاق.

- إيه في الأخلاق بالظبط يعني؟

- يعني.. إنه ما يقبلش على غيره اللي ما يقبلوش على نفسه.. عارفة إيه؟ الصدق.. أيوه الصدق.. مع نفسه ومع الناس.. أيوه هو الصدق (لمعت عيناها ببريق وتألق هنا وكأنها وجدت شيء كان ضايع منها من زمن).

- طيب تمام قوي لحد دلوقتي.. عرفنا كده كان إيه ناقص مستر إكس ده عشان ماكانش بعمل أبدًا اللي عمله ده، لا معاكي ولا مع غيرك. يا ترى مستعدة تديله الحاجات اللي كانت ناقصاه دي؟

- (بقليل من الامتعاض ماركة "مديحة حاتم").. إديهومله ليه؟

- سؤال وجيه.. عشان البساتين اللي جواكي تفتح مرة تانية من جديد.. وعشان

غيرك مياحصلُّوش اللي حصلك.. وعشان هو يمكن يتغير للأحسن لما تعملي كده وتبعتي ليه الحاجات الحلوة دي، تبقي كسبتي ككل ده.. إيه رايك؟

- الكلام معقول ما أقدرش أقول حاجة عنه.. بس محتاجة وقت. مش قادرة أسامح.

- بصي حبيبتي. خُدي وقتك. انوي. انوي إنك تسامحي. وافتكري كل المواقف اللي سامحتي فيها من قلبك بجد.. استدعي طاقة التسامح اللي موجودة جواكي أصلًا وفي الكون حواليكي كمان وكل شوية انوي وقولي إنك عايزة تسامحيه وحتسامحيه إن شاء الله.

تنهدت. فأكملت أنا:

- كل موقف بنمر بيه فيه هدية لنا. درس أو رسالة. تفتكري إنتي هديتك كانت إيه؟

- أتعلم أسامح يا إيمان.. أنا ماكنتش أعرف المعنى ده كويس الحقيقة، ما أحكمش على الناس.. ويكون قلبي فيه رحمة أكثر من كده، وأفهم إن ساعات الناس فعلًا بتتحط في ظروف أقوى منها، لازم نساعد بعض، ونتحمل بعض، ونبطل نحكم على بعض، عشان نعيش أحسن.

- مستعدة تسامحي نفسك دلوقتي؟

- آآآآآآآه.. نفسي أسامحني بقى.. كده كفاية.

- طب تخيلي نفسك كده قدامك.. وحسي بيها.. وافهميها ..وحبيها.. وسامحيها.. واحضنيها.

أخذت نفسها في حضن طويل وأخذت تربت على ذراعيها بحب افتقدته بشدة.

مضت سنة، تسلمت بعدها بطاقة دعوة لحضور معرض. لم أكن أعلم أنها

ترسم بهذه الروعة والإبداع. لم تخلُ رسمة من لمحة إنسانية عميقة. عندما سلمت عليها، كان وجهها ينضح بالحياة والفرح. سمعتها تضحك، لكن ملء القلب هذه المرة. ما أجمل أن يزهر البستان ويغرد الإنسان.

لا نسامح فقط لأن مَن حولنا يستحقون دومًا السماح.

نسامح.. لأننا نستحق الحياة!

الصرصار أبو شنب بريمة

قمت من مكتبي وأنا أحاول جاهدة أن أبدو رصينة وعاقلة ومرحبة. حاولت أن أبث الروح في تلك الجثة الهامدة التي أرتديها الآن.

"يا اختيييبي" صرخت بعض الخلايا المتناثرة في أنحائي وأنا أقوم بدور المديرة اللطيفة المسيطرة في آنٍ واحدٍ.

- أهلًا أهلًا . (بصوت أحاول أن يتشابه مع تلك المذيعات المتحمسات في برامج الراديو العبثية)

تبدو وكأنها شخصية لطيفة. هكذا تمتمت لنفسي في محاولة لجعل الترحيب يبدو صادقًا. ولكن ألوانها صارخة وكأنها تقول "أنا هنا خلي بالكم. إحم إحم".

وفجأة رأيته.

كان يمشي وراءها كأنه يلاصقها حتى لم أرَه وهي تدخل المكتب. يرتدي جينزًا داكنًا وتي شيرتًا مقلمًا تبدو من تحته السيكس باكس، عريض المنكبين، شلولح، أما شنباته فهي بالتأكيد بريمة!

بسرعه البرق انتهى دور الرصانة والمذيعة وانطلقت الطفلة التي بداخلي تجري لتختبئ تحت المكتب.

- مصطفاااا.

- أيوه أيوه جرى إيه؟

- مشي ولا لسه؟

- ماتخافيش مافيش حاجة.

- لأ فيه. إنت بس اللي مش شايفه.

- فيه إيه؟ مش فاهم.

- ركِّز، هتشوف صرصار كبير.

- مش شايف أيتها حاجة.

أنادي عليه من تحت المكتب بصراخ وغضب:

- يا مصطفاااااا. يا خسارة تعليمي فيك. ركززززز. أنا مش طالعة من تحت المكتب غير لما يمشي.

- طب أنا جايلك ما تخافيش.

اقترب مصطفى من مركزي من تحت المكتب وبهدوء قال:

- مافيش حد أصلًا في المكتب.

- متأكد؟

- آه والله . ما تفرجيش الناس علينا. قالها هامسًا. أطلبلك نسكافيه؟

أخذت أحتسي النسكافيه ولو أن شريف كان مصرًا أن يعد لي كوبًا من الليمونادة بعد أن رأى مجموعة من الألوان الصفراء على جانجاه منعكسة من خدودي المليانة.

- هو أنا يا ترى كنت بتخيِّل؟ أكيد لأ. حتى لو تخيلت الصرصار، أُمَّال كنت بقول أهلًا لمين؟ لأ لأ لأ

انجعصت والتفتت لمصطفى وكأني على شفا اكتشاف علمي خطير.

- مصطفاا. هو فيه واحدة جت المكتب صح؟ اسمها السفيرة ولا عزيزة؟

- أيوه.

- الحمد لله يعني مش هلاوس؟

- لأ. بس ماكانش فيه صراصير.

- راجع نفسك كويس، غمض عينيك كده واسترجع. هاا؟

- أيوه صح . بصراحة كان فيه.

- طب وحنعمل إيه في الوكسة دي؟

- ما إنتي طول النهار ماوراكيش غيرهم. إشمعنى ده؟؟

أسقط في يدي.

يا ابن الإيه. صحيح إشمعنى ده خلاني أجري زي العيلة التايهة وأدخل تحت المكتب والست لسه ماعملتش حاجة.

تنهدت من أعماقي وفتحت الباب لأرى عزيزة اللذيذة مرة أخرى.

ومرة أخرى أراه بشحمه ولحمه وشنباته.

نفَسْ عميق. بسم الله..

مصطفى يهم بالقيام بينما هي تدخل هي وصرصارها، أنظر إليه نظرات ترجٍّ واضحة وأقول بنبرة مديرية مليئة باللامبالاة المصطنعة "خليك قاعد".

- أهلًا أهلًا عزيزة.

- أهلًا بيكي مدام أمينة.

- متهيألي إدولك فكرة عن المشروع اللي عايزين نعمله. صح؟

- أيوه مضبوط.

- أنا هأشرح لحضرتك المقترحات والخطة المتفق عليها.تقولها بحدة وشدة و صوت يعلو علي الجميع

أبرطم في مخي "مين اللي اتفق عليها؟"

أستمع إليها وهي تسهب في الحديث عن تفاصيل لا تهمني في الواقع، تعطيني فرصة أكبر للتمعن في هذا الحيوان الذي يجلس في ثقة لا متناهية وراءها.

فهو لم يستحوذ عليها فقط، لا بل جعلني أنا الست المديرة الفخيمة تختبئ تحت المكتب بجانب سلة المهلات البلاستيك!! يا فضيحتي.

لا بُدَّ أن أتماسك. هي لا تعلم ما يجول بخاطري الآن. هو صرصارها هي. وليس صرصاري أنا ولن يتحكم فيَّ! لا لن يخيفني ويملي عليَّ ردود أفعالي.

عدت مرة أخرى للتركيز معها، ولسبب غير معلوم هرشت في شفايفي، وإذا بها تصرخ وكأنني قتلتلها قتيل "إنتي بتضحكيييييي؟؟؟؟؟!!!!!!" وعينها بتطق شرار.

- لأ لأ مش بضحك. صرخت بسرعة حتى أنفي عن نفسي تلك التهمة القذرة.

- كنت بهرش في شفايفي. أكملت وقد بدا صوتي مسكينًا مخضوضًا، وكأني حرامي غسيل قفشه وكيل النيابة.

ثم أدركت بسرعة ما يحدث، وفي محاولة ناجحة تمكنت من الرجوع لصوتي الإداري اللارج وقلت مداعبة:

- جرى إيه يا عزيزة فيه إيه؟ وحتى لو ضحكت يعني فيها إيه؟ ونظرت بسرعة حولي لأتأكد ما إذا كنت استعدت سيطرتي على المنطقة أم لا.

إن صرصارها هذا ليس صرصارًا عاديًا. كلا البتة. إنه يرتدي واحدًا من تلك الدروع من العصور القديمة: درع مزين بالمسامير ذات أطراف مدببة ويبدو أنها

شحذت حديثًا. وتقريبًا من أأقل حاجة هتدبه في صرصور ودن أي حد ممكن أن يمر من أمامها.

هدأت قليلًا، ولكن ظل الصرصار مرتديًا ملابس الحرب. وأنا يا حسرة شعرت وكأنني أرتدي قميصًا نوم مشجَّر نص كم من شيكوريل.

و لكن على مين! سمعت صوته بوضوح الآن.

- لأ يا روحي، لا يا حبيبتي. بقى ده اسمه كلام؟ ما اتعلمناش كدة زمان. ده إنتي اتعلمتي ودفعتي التمن غالي. إنتي المديرة. خليكي فاكرة.. ها؟

وإذا بي أراه بجانبي يجلس إلى المكتب بجانب الأوراق المتناثرة مرتديًا بنطلون صاعقة فانكي وتي شيرت بجليتر ومرجع شعره ورا بشويه جل. أما شنباته التي كان يفتخر بها فيبدوأنها التصقت من الإفراط في استخدام هذا الجل.

للأسف ومع كسوفي الشديد عليَّ أن أعترف أنني شعرت براحة حين سمعت صوته. صرصاري. صرصاري أنا. عشت معاه وعاش معي. بالرغم إني أعلم أنه صرصارٌ إلاَ أنه كان مألوفًا، وكأنَه فرد من أفراد العائلة والحقيقة لن أنسى وقوفه بجواري منذ 10 سنوات. والصراحة أنا كنت بحاجة إليه حقًا في هذه اللحظة.

تصنعت ابتسامةً قصدت بها السخافة وقلت:

- طيب ميرسي قوي يا عزيزة. أنا هأفكر وأقولك. في محاولة منِّي لإثبات إن أنا ست البيت وأنا التي تقول.

كعمشت وجهها عزيزة وردت بعنفٍ:

- خلاص أوك. لو مش عايزة أي بيانات تانية أنا ممكن أمشي. بدأت تتحدث في جمل مقتضبة، وكأنها تلغراف بيسف لا يلتقط أنفاسه.

- هبعت إيميل. هاستنى الرد. وإنتي جيبي الموافقات.

برضو أنهت حديثها بأمر لي. وكأنها يجب أن تكون المسيطرة على الحوار.

اتكتمت.

ورأيتها تمشي وفي ذيلها الصرصار أبو شنب بريمة وهو ينظر لي ولصرصاري الصغير الفانكي من عليائه، وكأنَه يقول "مش أي أي ومش زي زي ومش كل صرصار عنده زي شنبي"

الصرصار أبو شنب بريمة (الجزء الثاني)

أكاد أبكي من الغيظ. مشاعر قهر وتعاسة تمتلكني. جزء مني محروق لأني لم أستطع إثبات سيطرتي، ورفع أعلامي على المنطقة. غضبي ليس فقط منصبًا على عزيزة، ولكن على نفسي بشكل أكبر. والجزء الثاني يشعر بالتعاسة لأني لا أريد أن أسكن في هذا المكان، ولا حتى أطاه بقدميَّ. مكان يسيطر عليه ذلك الغول الهوائي المظلم "الإيجو". كل مرة أشعر فيها بهجوم السفيرة عزيزة عليَّ، أدخل في حالة من التأهب القصوي وأختبئ في تلك الأشلاء . أم هو كمين؟ أيًّا كان إنه مكانٌ مليءٌ بعوادم السيارات، وأكياس البلاستيك السوداء المستعملة، والكثير من النفايات.

لا أريد أن أدخل هناك. أريد أن أتنزه في تلك الحدائق المزهرة التي أراها عندما أستمع لشابٍ يحكي بشغف عن هواية الرسم، أو امرأة تبدأ في اكتشاف ذاتها بينما هي تتحدث معي، أو طالبة تندمج مع نفسها في حديث عن أحلام مورقة.

كيف يمكن أن أترك نفسي تدخل طواعية إلى مقلب النفايات هذا، وأنا أعلم بوجود ألوان أخرى من النفس البشرية.

مَن سيرضى أن يعيش في تلك الغرفة التعيسة أصلًا؟؟

إن لم يكن صرصارًا!!

تنهدت. ولاحظت أن صرصاري الصغير اختفى. لا يحب هو الجلوس في الحدائق في الصباح ومواجهة أشعة الشمس. في الواقع إنه لا يحب أي مواجهة في النور. التفتت أبحث عنه. وجدته يا عين أمه دايخ ويكاد يغشى عليه من رائحة الورد والحدائق التي نسمت عليه.

وضعت يدي علي قلبي واتخذت قرارا. لن أشترك في حوار الصراصير هذا. أغمضت عيناي ورأيت عزيزة بألوانها المزركشة الرائعة، وبها كرات صغيرة متناثرة من الخوف. بقع داكنة شعثاء في قلب أحمر قانٍ مثل الورد البلدي الغامق.

وماذا إذًا تخاطب في أنا تلك البقع؟ تذكرت تلك المقولة لكارل يونج "كل شيء يزعجنا من الآخرين ، يمكن أن يقودنا إلى فهم أنفسنا"

نظرت الى نفسي لأجد كرة مستديرة واحدة مليئة بخوف مستقر.

إذا استفزك شخصٌ ما، سيكون في الواقع يشير إلى مشكلة ما لديك. "لو ماكانش فيه حاجة هناك ماكنتش اتوجعت قوي كده" هكذا قلت لنفسي. مخاوفها أيقظت مخاوفي. خوفي من أن أكون صغيرةً متناهية الصغر فلا يراني أحدٌ ولا يسمعني أحدٌ وأن أعيش نسيًّا منسيًا سبَّب لي آلامًا حادة.صرصارها أبو شنب بريمة أيقظ صرصاري الفانكي.

- طب ما تخافيش حبيبتي. إنتي مش صغيرة. إنتي غالية. ومتشافة. مفيش حاجة تخوف.

لم يكن هذا صوت ذلك الصرصور الفانكي. كان صوتي فراشة حانية، مهدئة تلك الصغيرة الخائفة بداخلي. شعرت تدريجيًّا بالأمان. أعقبه شعورٌ ناعمٌ بالحنان والتعاطف مع عزيزة. أنى لي أن أعرف ما السبب في تلك الكرات المنثورة؟ رأيت عزيزة وقد جرحها ما جرحها، مثلنا كلنا، فقررتْ هي حمل تلك البندقية السمراء

علي كتفيها ليلًا ونهارًا. إنها مرة أخرى، واحدة من طرق الدفاع عن النفس الملتوية. وها هو ذلك الصرصار الفتوة يحتال عليها.

طافت بنفسي تلك الأحاسيس والأفكار وأنا في طريقي للمكتب. اقتربتُ من الباب. هل قاموا برش معطر هواء أم ماذا؟ أدخل لأرى عزيزة، بعيون القلب، وحدها بدون أدنى صراصير!

الصرصار يخاف

دخلت مكتب أستاذ صابر حسب موعدنا المتفق عليه وإذ بي أفوجأ (رغم توقعاتي) بعائلة كاملة من الصراصير تحوم في المكتب حتى إني أنا لم أجد مكانًا لأجلس فيه. سلم عليَّ بحفاوة ودعاني للجلوس بمنتهى الأريحية فأدركت أنه لا يراهم بعد. هششت بعض الصراصير الصغيرة المنتشرة لأجلس على الأريكة ولكنني وجدت صرصارًا عملاقًا يأبى أن "يتعتع" من مكانه. لم أكن أدري هل هو ينظر لي أم لا. فكأن قبحه الطبيعي لم يكن كافيًا؛ فقد ارتدى قناعًا يشبه ذلك القناع في فيلم "سكريم".

لم أفهم وشعرت بقشعريرة صغيرة ثم اخترت الكرسي الأبعد وجلست عليه. بادر الأستاذ صابر حديثه:

- أنا على طول شاعر بخوف وقلق.

(أردت أن أقول "ما هو طبعًا من اللي إنت فيه ده. بقالك كتير ما نضفتش الدماغ". ولكن تعاطفي معه واحترامي لمشاعره أجبروني علي الصمت والاستماع)

- خايف من إيه؟

- يااااااه.. من حاجات كتيييييير قوي.

- زي إيه مثلًا؟

- زي المرض.. زي الألم.. زي الندم.. زي الحزن.. زي الهم.. زي الفراق..

تعرفي أنا ساعات بخاف حتى من النجاح مش بس من الفشل.. من النور مش بس من الظلمة.. من السعادة مش بس من الكآبة، عشان غالبًا الحاجات دي حيعقبها أيام سودة للأسف.. مش بيقولك الأيام دوَل يوم ليك ويوم عليك. أهو بقى لما ييجي اليوم اللي ليك ده بتخاف قوي من اللي جاي وراه لأنه أكيد اللي عليك.. وساعتها حتى اليوم اللي ليك بيروح حلاوته عليك!

- وإيه كمان؟

- إيه كمان؟ مش كفاية دول.. دول يجيبوا عربية تكريم الإنسان على طول يا شيخة (قالها ومحاولة ابتسامة مرة يائسة تبوء بالفشل كادت ترتسم على وجه).. طب مش أنا كاتب.. تصدقي إني ساعات بخاف آجي جنب الورقة أو أمسك القلم، وبقعد أتلكك كده، وأتلكع، وألهي نفسي بأي حاجة لحد الفكرة ما تستحوذ عليَّا تمامًا وتملي إرادتها عليَّا بالكامل فأضطر أستسلم وأكتب في النهاية. وحتى لما يتلوي دراعي كده وأكتب تلاقيني أكتب لي كام صفحة كده وأبطل. وأفضل أعدل في اللي أنا كتبته وأحنتفه، وأنا عارف إن دي حجة نفسية خفية عشان أوقف. ده بالرغم من إني بستمتع بالكتابة جدًّا وكتاباتي بتلاقي نجاح كبير في أغلب الأحيان! آه.. افتكرت.. أنا بخاف كمان من القهر والعجز والحوجة للغير.

- والخوف ده كله جاي منين؟

- مش عارف الحقيقة.. بجد مش عارف.. بالذات موضوع الكتابة ده. يمكن بخاف من المسئولية؟ بس ده أنا الابن الكبير والأب الحكيم. يمكن بخاف الملهم بتاعي يسيبني ويمشي وأحتاس أنا والقرّاء؟ يمكن بخاف أفقد مصداقيتي؟ لا.. يمكن بخاف أفقد صورتي الحلوة اللي تعبت عشان أرسمها في عقول وقلوب كل اللي يعرفوني، وده لأن الزيف كتر قوي حوالينا وأنا مش قادر أتخيل نفسي واحد بيقول

ومش بينفذ ولا بيوعد ومش بيوفي ولا بينصح ومش بيعمل أصلًا بالنصيحة، أفَّاق يعني. أنا قعدت مع نفسي كتير وخدت وإديت لما تعبت. ساعات أقهره وكتير قوي هو يبططني على الآخر. صدق مين قال "لو كان الخوف رجلًا لقتلته." ولو إن المقولة على الفقر بس مايجراش حاجة برضو.

- أنا مرة قريت إن أنواع الخوف أربعة في الأساس.. الخوف من الفشل، والخوف من اقتراف الأخطاء، والخوف من الألم، والخوف من الرفض الاجتماعي.. يا ترى كل المخاوف اللي إنت عديتها دي دلوقتي ممكن نُحطها تحت أي واحد من الأربعة دول؟

- (بتفكير وتأمل واسترجاع داخلي واضح).. أكيد.. أكيد.. بس الخوف من الكتابة اللي هي شغلي وعشقي في نفس الوقت، ده ممكن ييجي تحت أنهي فيهم؟

- تفتكر أنهي فيهم؟

- أعتقد كلهم يا إيمان، أصلي ممكن أخاف إني أكتب حاجة غلط فتبقى خوف من الأخطاء وده طبعًا ممكن يهز صورتي قُدَّام نفسي وفي قلوب وأذهان القراء.. يعني ممكن يؤدي للرفض الاجتماعي، لو استمر حيؤدي بالتالي للفشل، اللي في النهاية حيشعرني بالألم، والألم الشديد كمان.. معقول.. معقول جدًّا. بجد.

- كويس..

- (ضاحكًا هذه المرة) طب وماقرتيش ياترى بقى عن طرق مواجهة المخاوف الأربعة دي؟

- (باسمة بود) قريت.. كتير.

- طب إيه؟ إلحقيني.

- الفكرة كلها في حاجة اسمها دايرة "الحديث مع النفس" أو Self Talk Cycle .. بمعنى الكلام اللي إحنا بنقوله لنفسنا طول الوقت.. وعلى فكرة الحديث مع النفس ده من أقوى الوسائل وأنجحها على الإطلاق؛ لأن ببساطة كده مين مع الواحد 24 ساعة في اليوم، 7 أيام في الأسبوع، 365 يوم في السنة بعد ربه؟

- نفسه أكيد.

- بالضبط.. وعليه الطريقة ونوعية الكلام اللي بنتكلم بيها مع نفسنا وبنخاطب بيها عقلنا الواعي واللا واعي من أقوى الأدوات اللي ربنا إدَّاها لينا في الدنيا دي كلها. هي أصلًا الأساس والأصل.

- كمّلي من فضلك.

- خلّيني أشرحها لحضرتك كده ببساطة: حاجة بتحصل، بنفسرها من خلال النظارة بتاعة كل واحد فينا واللي هي Perception بتاعه أو الطريقة اللي بيترجم بيها الموقف، منظوره أو فلاتره، واللي بتتكون من قيمه، ومعتقداته، ومفاهيمه عن نفسه وعن الكون من حوله وعن خالقه، وبتأثر فيها طبعًا نشأته، وبيئته، وتربيته، ودراسته، وما إلى ذلك. وطبعًا ده بيختلف من كل واحد للتاني زي اختلاف بصمة الإيد كده. لما بيعدي الحدث على النضارة ويتفسر، ده بينتج عنه حديث مع النفس، إمَّا سلبًا أو إيجابًا على حسب التفسير طبعًا.

- ممكن تديني مثال؟

- يعني مثلًا لما كنا بنركب العجلة وإحنا صغيرين فاكر؟ كنا أكيد بنقع. ممكن واحد يفسرها على إنها مغامرة وواحد يفسرها على إنها فشل في الاتزان أو إنه فاشل أصلًا. ممكن واحد يعتبرها مأساة وواحد تاني ولا تفرق معاه ويقوم عادي.

- تمام وبعدين؟

- كل تفسيربيولد مشاعر معينة هي اللي بتؤدي في الآخر لسلوك ظاهر معين ردًّا على الحدث الأصلي، يعني مثلًا لما الطفل ده يقع من العجلة، كتيركنا نلاقي الأهل مصممين إنه يرجع يركب العجلة بسرعة. عارف ليه؟

- ليه؟

- عشان ما يلحقش يطلع بتفسير إنه فاشل في ركوب العجل وده في الواقع ممكن يخليه بالفعل يفشل في الموضوع ده لأنه حيكون قلقان.

- جميل جدًّا.

- الظاهرة دي اسمها النبوءة ذاتية التحقيق زي "اللي يخاف من العفريت يطلعله كده" بنخلق دايرة.. لو عايزين نغيَّر المرحلة النهائية في الدايرة دي واللي هي السلوك، تفتكر حضرتك نغير إيه جوة الدايرة؟

- "المشاعر"؟

- كويس.. طب لو دخلنا أعمق شوية؟

- أعمق شوية يبقى "الحديث مع النفس".. وأعمق وأعمق يبقى "الفلاتر أو النضارة" كلها.

- هو كده فعلًا.. غيَّر الفلتر تشوف شيء مختلف. وتتصرف بالتالي بشكل مختلف.

اندمجت أنا والأستاذ صابر في الحديث لدرجة إني لم أعر انتباهًا لصرصار صغير يبدو أنه ما زال طفلًا استهواه موضوع ركوب العجل جاء وجلس بجانبي وكله آذانًا صاغية. شعرت بالإنزعاج. أنا لا أحب الصراصير "مهما كان سنها"

- طيب، وايه علاقة حديث النفس ده أو Self Talk بطرق مواجهة الخوف؟

- علاقة أساسية. مش إحنا اللي بنفسر وإحنا اللي بنقول لنفسنا النتيجة وبعدين إحنا اللي بنلبس. يعني مثلًا الخوف من الفشل له علاقه جامدة جدًّا

بالطريقة اللي اتعلمنا أو اتربينا بيها. لو الفشل حاجة وحشة ومعناها إننا وحشين وغير جديرين أو ماحدش حيحبنا أكيد دي حاجة حتخوفنا.

- ما هو أكيد ماحدش يحب يفشل؟

- أكيد الفشل مش لذيذ في حد ذاته. لكن لو بصينا له على إنه شيء طبيعي ومش آخر الدنيا ومالوش علاقة بحُب الناس ولا حاجة مش هيبقى فيلم رعب. هيبقى إخبارية كده "Feedback " رسالة إننا محتاجين والله نضبط حاجة بشكل مختلف.

- وأقول لنفسي برافو؟ قالها بسخرية توضح إنه حتى الآن متمسك بفكرته القديمة "اللي أصلًا تاعباه"

لم أستغرب. دائمًا كلنا نتمسك بفلاترنا. فلاترنا كانت مخلصة لنا. ونحن أيضًا أفنينا حياتنا في إثبات صحتها. أصبحت متغلغلة في النخاع. ابتسمت في حنان وأكملت:

- هقول لنفسي "معلش". إنتي حاولتي. وهقول برافو لنفسي خصوصًا لما أشوف الوقعة دي كدَرْس. وأقول لنفسي إني اتعلمت وإن ده كان درس مستفاد وخبرة جديدة اكتسبتها في إيه اللي مش بينفع معايا واللي أنا مش بحب أحصل عليه..

- بس أنا حاسس إني كده حأكون بوافق على الغلط. حأكسّل.

- إنت بتتبسط لما بتكربج نفسك؟

- أكيد لأ.

- طب بتجري تكتب وتحقق كل الحاجات اللي عايز تعملها؟

بعد صمت قصير..

- معظم الوقت بتضايق وبأحس إني متوتر ومخنوق. ساعات بقوم وأكتب.

- وبتستمتع وتبدع؟

- لأ الحقيقة بكتب من غير نِفْس.

- طيب ليه نمسك في الحاجة اللي بتوجعنا؟

- يعني أعمل إيه؟

- تشيل الفلتر المرعب بتاع الفشل.

- وخلاص كده؟

- للأسف لأ. لازم زي الزرعة كده تغرس فلتر أو معتقد جديد وترويه بكلامك مع نفسك ومع غيرك وبسلوكك. تلبس نضارة جديدة. يا ترى ممكن يكون إيه الفلترالجديد ده؟

وجدته بسرعة غير متوقعة وبصوت طفولي يقول "ما يقع إلا الشاطر".

ضحكنا سويًا. وانطلقتُ مودعة إياه "لنا لقاء آخر".

الحفلة

جلست أمينة -أينعم أنا أمينة- بعد يومٍ من أيام أسبوع شاقٍ طويل، تستريح على الفراش. بالتأكيد لن أنام الآن. لم أنَمْ جيدًا طوال هذا الأسبوع، واليوم الخميس، لن أحتاج للاستيقاظ مبكرًا في الغد. أشعر بالجوع، والإرهاق. عيناي لا تقويان على الاستمرار في هذا اليوم، ولكنني أعافر.

- أهلًا أهلًا. بقالكوا شوية مش بتيجوا. منورين.

ينظرون لي في صمتٍ، وكأنهم لم يتوقعوا أن ألاحظهم بهذه السرعة.

- خطوة عزيزة.

بدأوا بالنظر لبعضهم البعض للتأكد مما إذا كان هذا ترحيبًا صادقًا، نظرًا لغيبتهم الطويلة نسبيًّا، أم أنها مجرد سخرية.

- لأ بجد. أصل بُصوا أنا عايزة أنام وعنيّا تقريبًا ملتهبة وحالتي بالبلا، وأنا عارفة إنها فرصة ما تتعوضش، وعارفة برضو إن إنتوا السبب، فقلت ننجز.

- يا أمينة يا أمونتي. قالها بحنان وطيبة معتادين من ذلك الحيوان.

- أيوه يا باشا. أنا بكلم مين فيكم دلوقتي؟

- ده كلام. إحنا عِشرة.

- حضرتك مش قصدي. بس كلكم عِشرة عمر. إنتوا ما بتزهقوش؟

همَّ صرصار آخر، يبدو أنه ابن ناس وديسنت كده، يقف على أطراف أصابعه، متلحفًا ببيريه على رأسه، وبالطو شيك ينفث دخان البايب بهدوء وأناقة، وانبرى يقول:

- أمينة هانم. بونسوار. أتحدث بالنيابة عن نفسي وبالأصالة عن زملائي، وأحب أشكر حضرتك على الدعوة الرقيقة لحفلتك النهارده.

رفعت حاجبيَّ في استنكار. أولًا شكله وحواره عجيبان. لكن الأغرب هو شاربه. عكس كل الصراصير زملائه شاربه للأعلى. يذكرني بسلفادور دالي. ثم أية حفلة وأية دعوة هذه التي يتحدث عنها ذلك الأحمق اللعين؟!!

- أنا عزمتكم إنتوا؟

- أيوه حضرتك. بصي سيادتك إحنا صراصير أيوه، وموطننا الأصلي البلاعة، لكننا دايمًا بنيجي بدعوة، حتى لو كانت صغيرة مستترة مش باينه. بس حضرتك كتر خير معاليكي بتعزمينا.

شعرت بالاشمئزاز والغضب، ولا أعلم هل هذا لوجودهم حولي على الفراش ووقاحتهم، أم من نفسي تلك العجيبة التي تقوم بحفلات ودعوات دون استشارتي؟

أخذت نفسًا عميقًا وفركت عيني.

- حضرتك مين؟

- وده كلام؟ أنا معاكي على طول عزيزتي الكونتيسة.

ثم أكمل:

- هحكيلك طيب جايز تتذكريني. أنا الفنان. أنا الصرصار الراقي. أنا الكاتب. أنا سومة العاشق بتاع الصراصير. كتبت عن الوحدة والغربة. أني لا أنتمي بالتأكيد لتلك البلاعة في التجمع الخامس المليئة بالرعاع. أكيد في حياتي السابقة كنت في

بلاعه في الشانزيليزيه في باريس. حيث تهف علينا العطور الذكية من الماره، ومن سيفورا اللي مغرق الشارع برفانات.

- ؟؟

- لسه؟ كما قلت لك. كتبت عن الوحدة. أنا الذي تحمَّل الكثير من الآلام من أجلك. أنا الذي عانيت كثيرًا لأنبش في قبورك وأجد كنوزًا من الأحزان. أنا نصير الألم والشحتفة.

أكمل وقد بدت على وجهي معالم الامتعاض:

- أنا شبهك. أنا اللي كنت بفتح لك كل باب موارب، أو حتى معصلج عشان تاخدي راحتك في العياط وتنفردي بصديقتك الصدوقة.

- ...؟

- الوحدة

- !!!

- أنا أكثر واحد شبهك. طيب بصي تعالي نحط وشنا في المراية جنب بعض.

اقترب بشاربيه، وجريت أنا بعيدًا.

- خلاص خلاص صادق. افتكرتك طبعًا. ده إحنا مع بعض فعلًا من أكثر من 40 سنة.

طب وعايز إيه؟ أنا أصلي زهقت وتعبت. كل يوم، كل إسبوع أفتَح نفس الباب، وأقعد أعيط وقلبي يوجعني. وجسمي مع السن ماعادش بيستحمل.

- ألف سلامة يا غالية. بس معقولة؟ هتتخلي عن ماضيكي المشرف المليء بالكفاح والآلام بسهولة كده؟

انقبض وجهي. أنا لا أعرف في حقيقة الأمر ما هي إجابة هذا السؤال. لقد عشت في قصتي الحزينة على ما يبدو مئات السنين. اختلطت كينونتي بقصتي، فلم أعد أعلم أيَّ جزءٍ فيها منِّي، وأيهما الدخيل؟ صرخ فيَّ صوتٌ لا أعلم إذا كان صوتي أم صوت صرصاري:

- حدوتتك هي ال DNA بتاعك. والحياة من غير تلك الطلعات والنزلات دي هتبقى مملة قوي.

- هادية. مريحة. (قلت بحدة). مش لازم تبقى مملة.

- تخيليها كده بحيرة راكدة مالهاش طعم، مالهاش حدوتة.

- بس أنا تعبت. تعبت من الطلعات والنزلات. الوجع بطبيعة الحال بيوجع. أنا مش عايزة أكون بطلة قصة حزن وألم وكفاح. أنا عايزة حياتي تكون حلوة فيها فرح وحب.

- وبدون أي إلهام؟!

ثم أكمل:

- تعرفي؟ من غير الألم ما كنتيش هتعرفي السعادة. بدون الألم ما كُنتيش هتقدري تحسي بالناس التانية قوي كده. كنتي هتصدري قرارات وتصنفي الناس.

- أنا مش عايزة أدخل الكوريدورات والأوض اللي بتفتحهالي دي، وأقعد أندب فيها، وقلبي يوجعني، وخلايا جسمي تنتفض .إنت ما تعرفش إن الأفكار والمشاعر بتأثر على الجسم وعلى الصحة العامة؟

- قصتك فريدة من نوعها.

- صح. وكل قصص الناس فريدة.

بدا عليه الحيرة، وكأنه يتساءل أي طريق يسلك؟ ثم سمعته يهمس لزميله

الصرصار بغضبٍ واستنكار وقد تخلَّى عن وقاره: إنت مش قُلتلي إنها تعبانة، وجعانة، وعينيها واجعاها؟

رد عليه صرصار كهل يبدو وكأنه في أواخر العمر، أرجله تتدلى منه وكأنها لا تخصه، ويرتدي نظارة كعب كوباية: والله يا بيه أنا عملت اللي عليا وزيادة. دي عاملة رجيم ومكلتش وما شربتش وما أخدتش الفيتامينات.

- الظاهر مش كفاية. من إمتي الكلام ده؟

- أسبوع يا بيه والله. دي جالها درجات قلب غير منتظمة وبرضو أقنعتها ما تركزش، وإن اللي وراها أهم. دي حتى عينيها رجعتلها الحساسية وبعد ما حطت القطرة لهيتها في الكتاب الفارغ بتاعها ده.

- نفذت الخطة H.A.L.T. ؟

- النبي يا بيه كلمني عربي لا مؤاخذة.

Hungry, Angry, Lonely and Tired.

يعني جعانة، غضبانة، وحيدة ومتعبة؟

- على داير المليم. ماعرفتش الصراحة يا بيه أعمل الحتة اللونلي غير لما روحت. والحتة الأنجري أنا حسستها بحاجة من القرف على الزعل من غير سبب والله.

- أُمَّال إيه؟ مالها المرة دي متماسكة ليه؟

شعرت بالتسلية وأنا أراهم يناقشونني، وكأنني قد انتقلت لغرفة أخرى، أو عالم آخر.

- المرة دي شُفتكوا على طول. وعلى فكرة ياض أنا مازعلتش. أنا قرفت صحيح، بس أخدت بالي إنكوا فتحتولي في نفس اللحظة كوريدور سكة التعاسة. وعرفت إني بس تعبانة ومرهقة مفيش حاجة مزعلاني.

عادوا للوراء قليلًا وكأنهم نسوا تمامًا وجودي، أو ذكائي، أو شجاعتي في مواجهة الحقيقة.

تناولت القطرة والفيتامين من على الكومودينو، ونظرت للصرصار دالي الفنان.

- الحفلة خلصت. يلّا لِمّ صبيانك واتكلوا من هنا.

ونمت في سباتٍ عميقٍ سعيدٍ!

الصرصار الشكاك

- أنا أشك إذًا أنا موجود

- أهلًا ديكارت البلاعات.. من أين لك هذا يا صرصر؟ حكيم وجودي حضرتك؟

- دي فلسفة الدنيا يا بنت يا إيمان.. إيش فهمك إنتي في الحياة وبلاويها ودهاليزها الغامقة السواد؟

- وليه كل ده ع الصبح يا مشكوك؟

- عادي.. صُبح زي أي صبح.. والعادي إن الواحد يشك عشان يفضل يكتشف ويتقدم.

- يا سلام؟.. إزاي يعني؟

- زيمبؤلك كده.. شكّي في كل حاجة وفي أي حاجة حتى في نفسك لو عايزة.. ماتصدقيش اللي حواليكي ولا اللي بيحصلك.. اسألي وشككي ونخربي في كل حاجة وأي حاجة عشان تعرفي الحقيقة. مفيش حد يقولك حاجة وتاخديها كده مسلم بيها.. أبسوليوتلي..

- قصدك يعني أبطل أثق في الناس والأحداث وكده؟

- بالظبط.. عليكي نور.

- بس يا شكشك ما أعتقدش إن ده كان هدف ديكارت لما قال هذه المقولة الشهيرة.

- إيش فهمك إنتي يا بنت إمبارح؟

- ديكارت كان عايز يوصل للحقيقة، وعشان كده اعتنق المبدأ ده كوسيلة للتوسع والتعمق في المعرفة. لكن كلامك بيقول إننا نكدب كل شيء وكل حد م الباب للطاق لمجرد إن محدش يستاهل الثقة من أساسه.

- إيمان يا بنتي، إنتي عمرك عشتي في بلاعات؟

- لا الصراحة ماحصليش الشرف.

- طب عمرك فضلتي تهربي من ركن لحيطة لزنقور وإنتي ميتة في جلدك لا ينزل عليكي شبشب ولا جزمة من حيث لا تعلمي ولا تدري ويجيب أجلك؟

- باستثناء الطلعات الجوية لأبو وردة الشهير أثناء أيام الدراسة الغبرة لم تحدث لي هذه الفاجعة المروعة قبل كده.

- عمرك إترشيتي مبيدات لما اتعميتي لمجرد إنك خارجة في أمان الله تدوَّري على قوتك وقوت الصراصير اللي متعلقين في شواربك؟

- إترشيت بلاوي تانية من أحقاد وأطماع وشرور البشر اللي لازم حتقابلها بشكل أو بآخر حتى لو فضلت قاعد في بيتك محلك سر.

- يعني شُفتي جزء من الشر اللي في الدنيا؟

- أكيد.. مين ما شافش؟

- لكن ما تعرفيش كم البلاعات اللي موجودة بس في المحيط اللي إنتي فيه، ناهيكي عن اللي موجودة في الحياة بشكل عام. ولا اختلطي باللي بيسكنوا في البلاعات دي. ولا ممكن يخطر على بالك حجم السواد والضلمة والعتمة والشر اللي موجود في كل ركن من أركانها. أنا بقى اتولدت هناك. وكبرت وسط اللي عايشين هناك. ولوني من سواد العيش والعيشة واللي عايشينها هناك.. ومن موقعي هذا

بقولك مفيش صاحب يتصاحب، ولا حد تأمنيله.. ولو وصل الأمر شكّي في نفسك لكن ماتسلميش دقنك لحد في الزمان ده يا بنتي.

- ودي تبقى عيشة دي؟

- أجدع عيشة.. شكك في راسك، مطوتك في إيدك، واللي يقولك حاجة تصدقي عكسها دُغري.. وبكده محدش يقدر يضحك عليكي أبدًا ولا يقدر يئذيكي ولا تتاخدي على خوانة.

- إنت خايف يا شكشك مش كده؟

- من خاف سِلِم يا أستاذة.

- ويا ترى المرة دي خايف من إيه؟

- خايف من شرور الناس.. وكلهم شر وضلام.

- كلهم؟ بلا استثناء؟

- أينعم.. كل ولاد حوا وآدم.

- إنت خايف تدّي الأمان، فنقط الضعف تبان، ويدخلّك منها الدبان؟

- ما هذا الهذيان يا ست إيمان؟

- شفت ما دام انتناتك ودفنساتك طلعت وانفدت كده يبقى أنا عندي حق.

- لا طبعًا..

- طب بنفس منطقك.. عمرك جربت تعيش في النور؟

- إنتي مجنونة، عشان اتداس بالجزم وأطارد حتى الموت.

- عمرك جربت تدي سرك لحد وحافظلك عليه؟

- لا وجود لهذه المخلوقات على هذا الكوكب.

- عمرك حسيت إنك لما حد شافك من جوه إدّاك إنت نفسك فرصة تشوف نفسك على حقيقتها، وتكتشف ألغازها ومتاعبها، وتشتغل عليها وتطبطب ع اللي مكسور فيها وترممه؟

- مش بقولك هذيان.. لا ده قمة الجنان.

- شُفت.. إنت عايش بمنطق البقاء survival mood

- ومين في كل الخلق دي مش بيعيش بالمنطق ده يا فلحوسة يا مكتشفة المستخبي؟

- ده الاحتياج الأساسي أكيد عند كل المخلوقات.. بس كل ما بترتقي وبتعلى نفسيًّا وفكريًّا وشعوريًّا احتياجات أخرى بتفرض نفسها. وكلنا بنحتاج لبعض. ولو عشنا بس بمنطق البقاء ونسينا الارتقاء، حتكون بس غابة والكل فيها يا قاتل يا مقتول طول الوقت. وكلنا حندّمر وحندمّر بعض. ومحدش حيبقى فينا عشان حتى يستمتع بلذة الانتصار. أو لو فضلت مستخبي للأبد مش حتكون عشت أصلًا.

- يعني إنتي بتنفي وجود الشر في العالم وفي نفوس الناس.

- إطلاقًا.. وفي نفس الوقت بشوف النور والخير اللي برضو موجود وحيفضل موجود مهما قل في أوقات.

- وأهبل أنا بقى.. بعد كل اللي شُفته في حياتي وسجل تاريخي الحافل بكل ما لذ وطاب من خوازيق وخوابير وعاهات مستديمة، عادي خالص آآمن وأصدق وأثق في الناس كده عادي.. بيييس.. وكأن شرًا عظيمًا طويلًا مريرًا لم يكن؟

(بابتسامة ملؤها الإشفاق الحقيقي على هذا المخلوق الهش).

- عارف يا شكّاك إنت بكلامك ده بتفكرني بإيه؟

- إيه يا شوال الثقة؟

- بشادية في مسرحية ريا وسكينة لما قالت لحسب الله "خبّط بالعقل".. فاكر هوه عمل إيه؟

(ابتسامة صفراء عريضة)

- بالضبط كده.. ربنا إدانا عقل نوزن بيه الأمور ونقدّر بيه الظروف، ونتمن ونقيّم بيه الناس. وإدانا كمان إحساسنا الداخلي **our intuition** ، الحدس، اللي يقدر يكون الرادار بتاعنا السليم اللي يوجهنا ويرشدنا كل ما ضلّ بينا الطريق.. وزي ما فيه الخاين والخبيث، فيه الوفي والنضيف.. فيه الذهب وفيه النحاس.. وكل وقعة بتعلمنا مش بس بتعلم علينا.. وكلنا فينا الخير والشر. شطارتك تدوس على الزرايز الصح لكل واحد. ولو عاملت اللي قُدّامك على إنه كويس في أغلب الأحيان حيفضل يثبتلك إنه كويس، والعكس صحيح..

وعلى رأي المثل

حرّص ولا تخوِّنش!

- لا أنا مرتاح كده.

- أراهنك إنك في قمة الإرهاق والتعب كده.. لأنك على طول مستعد للهجوم أو الدفاع.. واللي بيعيش عمره كله كده

بيعيش ميِّت وبيموت وحيد.

افتح الشبابيك

خلّي الشك يغور

داوي بلاويك

تلقى العتمة نور!

الصرصار المنبوذ

- مرة أخرى أذهب لمقابلة الأستاذ صابر وأنا أحمل طنًا من المعدات الثقيلة. طلبت من حارس العمارة أن يأتي لمساعدتي ولكنه أشاح بوجهه كأنه لم يسمعني. فكرت أن أرش عليه من الفليت خاصتي ولكني وجدت أن هذا الهاتف الداخلي ما هو إلا صرصار حقير من صراصيري الصغيرة أنا أيضًا، صرصار "الاستحقاق"، فحملت حقائبي واتجهت للمكتب. يبدو كأنه مكتب جديد. لا أرى بعد أي صراصير منتشرة في أنحاء المنطقة. "معقولة؟ مشيوا كلهم ولا مستخبيين ولا إيه؟"

- ألف مبروك على المكتب الجديد.

- الله يبارك فيكي. بس ده مش جديد. أنا بس وضبت وفرزت الورق ونجِّدت الكرسي.

- أخبارك إيه؟

- كل يوم بقول لنفسي مافيش حاجة تخوِّف. الخوف ده عامل زي مصّاص الدماء كده. فبقيت بشوف إيه اللي قالقني بس من غير ما أخاف من الفشل وأتعامل مع الجزء المنطقي في الموضوع.

- بس إيه؟ سألته وأنا أشعر بشيء في صوته.

- بخاف لسه من الرفض الاجتماعي اللي جبتي سيرته المرّة اللي فاتت.

- هو يعني إيه رفض اجتماعي أصلًا؟

- يعني عدم تقبل المجتمع لينا لاختلافنا عنه بشكل أو بآخر.

- طيب وإيه اللي يضايق قوي كده في الموضوع ده؟

- أصلي حبقى مختلف، يعني منبوذ..

- ليه منبوذ؟

- لأن الناس بتقاوم التغيير وتحاربه مش لأنه حيضرهم بس لأنهم مش متعودين عليه والإنسان عدو ما يجهله. وبالتالي طول ما أنا مش بقول أو بأعمل اللي على مزاجهم أو اللي يرضيهم ويعجبهم حيتجنبوني أو حيهمشوني أو يمكن حتى يسخروا مني ويقللوا من شأني ويحتقروني. صح؟

- إمممممم.. صح.

- علشان كده بيقولوا "اللي تعرفه أحسن من اللي ما تعرفوش" ابتسم وهو يتحدث بخبرة رجل اتلسع من اللي يعرفه.

- جميل.. وده حيعمل إيه بقى؟

- حيضايقني طبعًا.

- أكيد.. بس ليه؟ (ألاحظ كل شوية عيناه تتسعان بينما حاجباه يزدادان ارتفاعًا حتى قاربا على التسليم على خصلات شعره.. أخذ ينكمش في كرسيه، ولكنه ما زال مركزًا لأقصى درجة).

- عشان أنا أحب أكون مع الناس. قالها ببراءة طفل يبحث عن الحب.

- بالرغم من إنك دايمًا بتتكلم وبتكتب عن التفرد والخصوصية و-appreciation of diversity يعني تقدير التنوع.

- ده مش معناه الرفض أو النبذ.. ده اختلاف.

- يعني مش زي كل الناس أهوه.. ولا مع كل الناس.

- إنتي عايزة توصلي لإيه بالظبط؟

- إيه الخوف الحقيقي اللي ورا "الرفض الاجتماعي"؟

- (صمت وتفكير عميق) الوحدة مثلًا؟.. إن محدش يحبني أو يهتم بيَّا أو يقدرني؟

أيوه يقدرني ده بقى هو مربط الفرس.

- يعني إيه؟

- يعني الخوف من الرفض الاجتماعي بيجي أساسًا من إن الواحد بيستمد قيمته الداخلية وإحساسه بنفسه من استحسان الآخرين ليه ولأفعاله وإعجابهم بيها وثنائهم عليها. لما يرفضوه، بيبطلوا يعملوا كده وبالتالي بيفقد إحساسه بقيمته وبتتضاءل جواه وشوية بشوية بيقبل رأي المجتمع فيه ويتعايش معاه على إنه حقيقة ويصدَّقها كمان. ويخسر نفسه ساعتها تمامًا.

- (صمت طويل.. أكاد أسمع أنفاسه تعلو وتهبط كخط رسم القلب على جهاز ال ECG.. بعد مدة تركته فيها يفكر بتمعن مع نفسه) بس أنا قيمتي أصلًا نابعة من ذاتي مش من رأي الناس فيَّا.

- (بابتسامة عريضة للغاية) هو ده بالظبط حديث النفس الإيجابي اللي بتكلم عنه.. وهو ده بالحرف السلاح اللي بتحارب بيه الخوف من "الرفض الاجتماعي".

- ممكن ناخد استراحة شوية؟ عايز أغسل وشي وأشرب شوية مية.

- أكيد طبعًا.

- متشكر (يبدو عليه إرهاق وتَعَبْ.. أعلم جيدًا مصدرهما.. وأرى صرصاااااااااارًا ضخم الجثة، عرييييض المنكبين، شلولخ.. يتهاوى كديناصور كسرت رقبته على حين غرة.)

- عدنا.. زي ما بيقولوا.. نكمّل ولا تحب نخليها مرة تانية؟

- لا نكمّل طبعًا. بس هو مش طبيعي إننا كلنا نكون عايزين نتقدر ونتحب؟

- طبيعي جدًّا. مافيش حد مش محتاج ده أو مش بيحبه. بس المشكلة لما الاحتياج ده يزيد عن حد معين ويوهم الشخص إنه من غيره ولا حاجة.

- أو إن قيمتة كبني آدم ما بتظهرش غير كده.

- مظبوط . طب يا ترى في ضوء اللي اتكلمنا فيه من شوية، تفتكر مثلًا ممكن يكون إيه الحديث مع النفس الإيجابي المرة دي؟

- أنا فكرت فيها على فكرة وإحنا في "البريك".. بصي هو بالشكل اللي إحنا اتكلمنا بيه ده كله ما أعتقدش أصلًا فيه حاجة ممكن تسبِّب الألم خلاص الحقيقة يعني (مبتسمًا بصدق هذه المرة) ..أنا قيمتي جوايا أنا عشان أنا موجود وعشان ربنا خالقني مش من بره.

ابتسمت في سعادة وانا أرى صرصارًا كبيرًا يخرج من تحت الأريكة ويمشي مترنحًا ليرمي نفسه في بالوعة الحمَّام. استطرد الأستاذ صابر في هدوء ورويّة.

- بس برضو خلينا نقول إن فيه حاجات تانية ممكن تسبب ألم مالهاش دعوة بالمخاوف اللي اتكلمنا فيها.

نظرت حولي ووجدت فصلًا كاملًا من الصراصير الصغيرة تجلس في انتباه شديد لما يحدث وكأنها حصة المعمل الآن.

- قصدك إيه؟

- الألم ده إحساس بيجي من إن شيء يحصل أنا مش عاوزه يحصل من أساسه زي موت، فراق، خيانة، تعذيب، مرض وخلافه. ساعات بتكون الدنيا ماشية كويس وبعدين تحصل أزمة مالية أو مشكلة في الشغل أو حاجات تانية كتير.

- وده بيحسسك بإيه؟

- يعني.. بشيء من عدم الراحة كده.. زي ما أكون مش في مكاني. ألم يعني.

- هو كده فعلًا.. لأن الحاجات اللي حضرتك قلت عليها وبتسبب لك الألم دي بتخرجك من "منطقة الراحة" الخاصة بيك، أو comfort zone بتاعتك. واللي هي منطقة التعود، منطقة الأحداث اليومية اللي إنت عارفها أو المطلوبة أو المستحسنة من وجهة نظرك "دلوقتي". لما بتخرج براها بتحس بالألم طبيعي، زي الجنين لما يخرج من رحم أمه عند الولادة ويشم أول نفس هوا ويصرخ لما يملأ رئتيه، واللي هو في حد ذاته دليل على بداية عملياته الحيوية وحياته!

- طب والعمل إيه؟

- كل ما بتخرج حبّة، بتتعلم حبّة، وبتزيد مساحة الراحة جواك وبتكبر وعاداتك بتختلف تباعًا واهتماماتك كمان وبالتالي وعيك ونضجك وحكمك على الأمور لأنك بقيت بتشوف بره المعهود والمألوف والمتعارف عليه. وكل حاجة وليها ضريبة أو ثمن.. شوية ألم في البداية هو أول خطوات رحلة النضج دي.

- أيوه بس الدنيا مش سهلة كده، والحياة مش حلوة ووردي قوي بالشكل ده. فترات الألم دي ممكن تبقى صعبة جدًّا بل غير محتملة أحيانًا.

- و مين قال إنها وردي؟

- يعني عايزة تفهميني بعد كل ده إن الحياة سودا؟

- هو يا إما كده يا كده؟

- أنا بشوف الحياة زي اللوحة العملاقة فيها كل الألوان. أكيد ساعات هنحزن وساعات هنتوجع وأكيد برضو ساعات هنفرح ونستمتع ونحب الحياة.

- أومال إحنا قاعدين القعدة دي ليه؟

- عشان كل ما تفهم نفسك أكتر والحاجات اللي مش مضبوطة في دماغنا – صراصير يعني- بنعرف ما نغرزش زيادة عن اللزوم في الإسود وبنعرف نستمتع بالألوان الزاهية والفراشات.

- ماشي. قالها وهو يفكركأنه يترك مكانًا اعتاد الجلوس فيه في قهوته ما وها هو يتحرك في تأنٍ وريبة لمكان جديد "نوفي".

- طب ونعمل إيه لما الدنيا تتغير في يوم وليلة من حوالينا؟

- تفهم إنك بتخرج من المكان والظروف اللي متعود عليها فطبيعي ماتكونش مستريح. كأنك كنت لابس البجامة وغيرت لبست بدلة ورحت الصالون.

- بس بعد شوية بتتعود على البدلة والصالون. قالها ضاحكًا.

- مظبوط.. فيه 5 مراحل للتغيير:

1. وضع حالي مستقر Status quo
2. حدث جديد New Event
3. حالة فوضى Chaos
4. ولادة جديدة Rebirth
5. وضع حالي جديد مستقر New Status quo

الألم أو عدم الراحة ده ممكن يعتبر المرحلة التانية، "الحدث الجديد" واللي حيتسبِّب أكيد في حالة فوضى. الفوضى شيء إيجابي على فكرة لأن بعده ولادة جديدة.. مقدَّرة لأن كل حاجة بتحصل في الكون بسبب وبميزان .

- ومرحلة الفوضي دي قدّ إيه؟

- طول أو قصر فترة مرحلة "الفوضى" يعتمد على التغيير نفسه وعلى الشخص، وحديثه مع نفسه، والرسايل اللي بيبعتها بشكل مباشر أو غير مباشر، واعي أو غير واعي لعقله الباطن. ممكن يقول مثلًا "أنا إنسان متكيّف.. وبعرف أأقلم نفسي مع كل وضع جديد.. وأستفيد من كل اللي بيحصل حواليا".. تخيل كده لو قلنا لنفسنا كده وقت الألم؟ إيه رد الفعل أو النتيجة اللي حتحصل بسبب الكلام ده؟

- (بابتسامة) خليني أزيد حضرتك من الشعر بيت، بمناسبة إن حضرتك كاتب.. في مقولة جميلة قوي بتقول: -FEAR= False Expectations Appear ing Real يعني الخوف ما هو إلا توقعات وهمية تبدو حقيقة. وده الحقيقة بيفكرني بصديقة مرة كانت بتحكيلي عن موقفين حصلوا معاها، تحب حضرتك أحكيهوملك؟

- ياريت.

- الموقف الأول مع المدرب بتاعها، هي بتلعب إسكواش عشان اللياقة ونقص الوزن. كانت بتخاف تقوله على أي ملحوظة في أدائه أثناء اللعب، أو أي حاجة بتضايقها منه زي تأخيره المستمر مثلًا، عشان ما يعسفهاش ويسحلها في الملعب رايح جاي. لأنه لما بيعمل كده بيتقلب الملعب ساحة قتال والجو بيتنشن وبيفضل يرقع في الكورة يمين وشمال ومابيبقاش فيه أي استمتاع. وكمان بيكسبها في كل الماتشات بالضربات القاضية السريعة. حلو؟

- حلو جدًّا.

- لحد ما جت مرة علق فيها تعليق سخيف جدًّا من وجهة نظرها، ضايقها بيه لأنه كمان كان قُدَّام مجموعة أخرى من المدربين. كتمت عالعادة في الأول عشان كل مخاوفها السابقة دي، بالرغم إنها إنسانة جريئة جدًّا وقوية الشخصية. بس حست إنها مش قادرة تروح التمرين. اعتذرت عن مرة وكلمها هو بعد كده

عشان يأكد معاها حضور المرة اللي بعدها، استجمعت كل شجاعتها وقالت له. طبعًا أنكر إنه كان يقصد اللي قاله ده وإنها فهمت غلط، لا وكمان قالها إنه هو اللي زعلان منها عشان ماجَتْش المرة اللي فاتت بسبب كده. المهم راحت المرة اللي بعدها وحصل اللي كانت خايفة منه، واللي بيحصل كل مرة، وطلَّع عليها الشحنة في الملعب. تعرف حصل إيه يومها؟

- إيه يا ترى؟ ماتقوليش غلبته بقى؟

- هو ده فعلًا اللي حصل. صدت كل ضرباته القاضية، وقفت هجومه، وكسبته. ومش ماتش واحد.. ماتشين.. وده كان للمرة التانية على التوالي.. وفوزها مرتين ده كان أول مرة يحصلها من ساعة ما بدأت تلعب اللعبة دي.

- (اختفى داخل الكرسي خالص بقى المرة دي.. بس شوية وطلع تاني وكأنه استعاد شيئًا فقد منه منذ زمن بعيد.)

- الموقف التاني حصل لها بعد شهر تقريبًا من الموقف الأولاني، مع زميلة ليها في الشغل. الزميلة دي مسئولة عن مساعدتها في مهمة معينة والزميلة دي، من وجهة نظرها، صعبة في التعامل لأنها عصبية ونرفوزة ومابتحبش تتحمل المسئولية. وصاحبتنا مديرتها بتيجي دايمًا في صف الزميلة التانية دي. فصاحبتنا مش حاسة بأي مساندة وبالعكس بتخاف تخش في كلاشات مع زميلتها دي لأنها حتيجي فوق راسها في الآخر. مرة حصل مشكلة طارئة، واضطرت تلجأ لمساعدة الزميلة دي، وكان وقت الويك إند. فطبعًا هبت فيها الزميلة زي وابور الجاز. فراحت صاحبتنا لأول مرة بعد سنة كاملة من الكششان منها دخلت فيها شمال وقالت لها ما أنا زي زيك أهو بشتغل في الويك إند عشان ألحق اللي حصل حتقدري تساعديني ولا أتصرف أنا؟.. الأخت الزميلة جابت ورا دوغري، وقالت لها "قوليلي أقدر أساعدك إزاي وأنا حنفذ على طول".. وعملت المطلوب!

خلاصة القول.. صاحبتنا اكتشفت إن مخاوفها في المرتين كانت أوهام بس، واستعجبت جدًّا إزاي ساعات بنفضل نكبر الأوهام دي جوانا لحد ما تبلع أي حاجة حلوة تانية، ولحد ما تبلعنا إحنا شخصيًّا في يوم من الأيام، وتشل حركتنا وتوقف نمونا واستمتاعنا بحياتنا.

- الخوف ده عامل زي سحابة دخان كبيرة سودا لما بندخل فيها بنلاقيها اتبخرت. قالها وهو على ما يبدو يتذكَّر مواقف كثيرة تبددت فيها سحابة خوف كانت تبدو كالإعصار.

ابتسمت وتركته بعد أن استأذنته في رش المنزل "كام رشة احتياطي" ثم فتحت الشباك قائلة "عشان نهوِّي المكان" وأنا في قرارة نفسي أتوقع مجيء ضيوف من الفراشات قريبًا وانطلقت لسيارتي.

تحدثنا هاتفيًّا بعدها مرتين اقتصرتا على الاطمئنان العادي. شعرت أن نبرة صوته اختلفت كثيراً عن السابق. أصبح يفوح منها ثقة بالنفس جميلة.. وانطلاق بحرية وبلا قيود. تابعت أخباره في المجلات الأدبية حيث لمع نجمه مؤخرًا، كأحد أكثر الكتّاب تأثيراً.

الصرصار المحيّر

- عمرك قبل كده حسيت انك مش بتحب حد بس بتحب حياتك معاه؟

- إزاي يعني؟

- زي مابقولك كده يا اخي الصرصار الحبيب الودود الغير مهاود.

ماتحكش شواربك الزفت دي ورُد عليًا..

- أرد عليكي أقولك إيه.. إنتي إبتديتي تقولي كلام يصعب على أمثالي من الصراصير فهمه.. طب اشرحيلي أكتر يمكن أجيب معاكي.

- يعني تكون مع حد تحس إن مشاعرك مش له، أو مش بتستجيب معاه، لكن فيه حاجات تانية ماشية آخر حلاوة.

- يعني زي إيه؟

- علاقتكوا كراجل وست كويسة. هتبقي عروسة وتعملي فرح. فيه حد هتلاقيه في البيت، أمك وخالاتك وكل قرايبكو أخيرًا هيفرحوا بيكي. ولاد.. هأجيب ولاد وأبقى أم وأبقى زي بقية الناس.

- ما أعرفش يا ستنا الحكيمة الصراحة، أنا مش فاهم فين المشكلة. إنتي شكلك دخلتي على صراصير في مستوى أدفانسد خالص.. ده مش اختصاصي يا بنتي.

- لا يا شيخ، إلا إنتوا درجات إنتوا كمان؟ إشي خيال يا ناس.

- أُمَّال إيه؟ إحنا بنلعب هنا.. الموضوع جد الجد، درجات، وتخصصات، وبطون، وأفرع، وشهادات.. عيب عليكي.

- طيب إيه اللي جابك لما الحته دي مش بتاعتك؟

- لا أنا محتاج أستعين بصديق، إديني سيكة، رفّة جناحات وأكون معاكي.

مدهوشة تركته يهرش، ويرفرف، ويتمتم بتعاويذ صرصورية تحتية منجانيقية، شهبورش على الآخر.. وشوية وجدته يقول:

- معايا لفيف من الأساتذة الصراصير حاملي الدروع السفلى وبيقولولك احكيلنا أكتر.

- أحكيلك إيه.. بقولك تكون مع إنسان مش بتحبه، يعني مش بتكرهه، بس برضو مش بتحبه، بترتاحله ممكن، متقبله جايز، لكن مش بيستنفر مشاعرك، ولا بيوحشك، ولا بتفتقد وجوده هو في حد ذاته.. لكن خير اللهم اجعله خير، بتفتقد إنبساطك وياه والعيشة اللي بتحصل.

- وازاي بتنبسطي وياه وإنتي أصلًا مش بتحبيه؟

- إيه الحمورية دي؟

- behave بقولك معايا لفيف.. ركزي وجاوبي.

- بتنبسط وياه.. يعني (بحمرة قليلة) بتستجيب جدًّا للمساته. قلبك بيدق جدًّا لما يقرب منك، نبضك بيتسارع لما يقول كلام حلو. ومش بس كده، ممكن يكون الشخص ده أصلًا كويس جدًّا، بيعرف إزاي يستمتع بالحياة ويمتع اللي معاه بيها. كمان كريم في إحساسه ومشاعره وماله، فبيدي وإنت بس بتاخد. ولما بتدي، بتدي من غير إحساس حقيقي، بس هو بيكون فرحان جدًّا زي العيال الصغيرة

بعطاءك الهزيل الخاوي ده، يمكن مش عارف الفرق، بس إنت عارف إنك مش هنا.. فاهم حاجة.

فاغرًا فاه، مدلدلًا جناحاته، مهدلًا شواربه: يخرب بيتك، أعجزتي الأساتذة.

- (بضحكة عالية) لا يا شيخ، طب خليهم يعتزلوا المهنة بقى، يعني مثلًا تكون زهقت من الوحدة وعايز حد.

- ماتجيبي كلب.

ذممت شفتيّ.

- عايزة عيال. عايزة حياة مختلفة. إنتوا ما بتفهموش؟ أمال أنا لماكوا حواليا ليه.

- اتأدبي يا ست إنتي.. اللي بتقوليه ده مش بيقول غير إنه حب مصلحة. ده إذا كان ده يُصنَّف حب من أساسه أصلًا.. يعني ولا مؤاخذة استغلال بشياكة، استغلال آخر موديل، استغلال بماركة لوي فيتون.

- بتستظرف يا صرصار الغبرة إنت، ما تظبط كده وترد عليا عِدِل.

- إنتي خليتي فيها عِدِل؟ كلامك عِوج يا ست الستات.

- لا طبعًا.. مفيش أي شُبهة استغلال على الإطلاق. هي الرجالة عايزة إيه بالفطرة؟! أكلة سخنة على الغدا وكلمتين حلوين، وكل واحد يروح لحاله. فلما يكون مبسوط مع الواحدة اللي معاه وآخر مزاج وهي مبسوطة بحياتها معاه وعايشة والسلام، مفيش أحسن من كده. يمكن بس يكون مش مالي عينها كفاية، يمكن مايكونش ده فتى الأحلام.. يعني ما أعرفش..

- طب سامحيني في دي الكلمة القبيحة.. إيه فرق ده عن حياة بياعين الهوى والعشق؟

- لا فرق السما م العما يا اللي تنطس ف جهوظ عينيك إنت.. دي بيكون قدامها مقابل مادي.. الوضع هنا مختلف تمامًا، دول ممكن يكونوا اتنين متجوزين وعايشين زي بقية الناس.. إنت بسلامتك عايز تفهمني إن كل مخاليق ربنا اللي سوا بيحبوا بعض ومتيمين ببعض ومقطعين بعض أحاسيس ومشاعر وعشان كده هما سوا؟! طبعًا لأ وألف لأ.

- جايز.. بس أنا بالنسبة لي، وبالنسبة للسادة الصراصير الأفاضل دول الاتنين نفس الشيء مع اختلاف المسمى، بس المضمون واحد يا ست الكُتكوتة.. لما تدي حياتك ونفسك وجسمك من غير قلبك ده انتهاك.. تسمحي تقوليلي حيكون إيه الوضع لو اتحركت مشاعرها لحد تاني وهي معاه؟ لأنها شعوريا مش متاحة؟

- لا مش صح.. قصدي غلط.. بص مش عارفة، بس هي ست كويسة ومحترمة. ما هو ده زي جواز الصالونات.

- الموضوع مالوش دعوة خالص بالاحترام هنا. ولا الصالونات. القصة قصة قلب. قلب مشوَّه.

- كمان شوهت قلب البنية، روح الله ينكس حواجبك، ويقص شواربك!!

- خليني أقولك إن حد مرة قالّي مقولة عجبتني في الموضوع المأندل ده. تقريبًا هو مش بنحب الحياة معاه هو اعتياد الحياة بوجوده وبصحبته في بقى بالنسبة لنا مكان آمن فبالتالي هيكون رفيق درب كويس لكن مش هيكون في مكانة الحبيب.

- طب وبعدين؟

- الحكاية حكاية أولويات وقيم. يعني لو هي أهم حاجة عندها الحب والرومانسية يبقى حتكون بتخون نفسها. لوالحكاية عشرة وألفة وعيلة يبقى أوك مافيش مشكلة.

توقفت. استوقفني ذلك الصوت الرقيق غير المعتاد.

- ها وإيه كمان؟

- كل إنسان مختلف وحتى الإنسان ذات نفسه ممكن أولوياته تختلف من وقت لآخر ولو إن قيمه وقصدي هنا مش الصح والغلط بس قصدي الحاجات اللي ليها قيمة عنده. الحاجات اللي بتخليه يحس إنه فعلًا عايش عادة بتفضل زي ما هي.

نظرت إلى أعلى أخيرًا لأجد لفيف الصراصير قد انفض ولأجد فراشة برتقالية الأجنحة تحدق في بحنان واهتمام.

- يعني إيه العمل؟

- ياما جوازات صالونات نجحت وياما فشلت. ونفس الحكاية في قصص الحب. خليها تستفتي قلبها وتبص جوه نفسها وتشوف إيه اللي هي فعلًا ماتعرفش تعيش سعيدة بيه وماتعرفش تعيش سعيدة من غيره.

- يعني ده مش غلط؟

- لأ ولا صح. كل واحد وقيمه في الحياة. فيه أكتر من طريق. المهم الواحد يسمع لنفسه ومايخونهاش أبدًا.

الصرصار اللعيب

- إلعبي لعبة الحياة!

- أهلًا، إنت شرّفت؟

- أهلًا بيكي يا شابة.. شرفت إيه؟ أنا بايت معاكي من إسبوع (وابتسامته اللزجة الصفراء ملء شواربه الكثيفة الكئيبة).

- إيه التواضع ده؟ إنت بايت معايا من يوم ما وعيت ع الدنيا يا خال (وأنا كلي ضحكة ثقة مستسلمة كسيحة).

- طب كويس إنك عارفة، قصرتي عليَّا الطريق. قومي اعمليلنا كوبايتين شاي عشان القعدة تحلو والكلام يلعلع..

- يلعلع.. إنت كده عايز كاسين يا عمنا.. وبعدين قعدة إيه؟ وكلام إيه؟ ويحلو إيه؟! هو إنت اللي يعرفك تفضل حاجة حلوة في حياته من أصله؟!!

- ليه الغلط كده طا يا ست البنات؟ ما كنا كويسين، وعِشرة سنين، وعلى لعبة الحياة متفقين.

- ألّا صحيح ماقولتليش، إيه هي لعبة الحياة دي يا سيدنا الصرصار؟

- حلو السؤال ده، ولو إني متأكد إنك عارفة الإجابة، بس وماله نقول كمان ونعيد، إحنا ورانا إيه؟ والإعادة تفل الحديد. واخدة لي بالك إنتي (ها ها ها ها)؟

لعبة الحياة يا بنتي هي الحَرْفَنة. الشقاوة اللي توجع وماتعلمش. هي الزواق

اللي بيخلي القردة وردة والبوصة بسبوسة وكنافة بالنوتيلا والمكسرات كمان. الله الله الله.. بقول دُرر أنا من يومي بس اللي يسمع.

- يييييي لا تعليق.

- يخيبك، ولاَ بلاش إنتي خيبانة خلقة (ها ها ها ها).. ما علينا، ونقول تاني. لعبة الحياة هي صنعة كل حد ناجح. هي الوشوش اللي الناس تحب تشفنا بيها، فيعجبوا بينا، ويرضوا علينا، فيدَونا اللي إحنا عايزينه. فنوصل، ونتمركز، ونترستأ، ونحقق كل اللي إحنا بنحلم بيه بأقل مجهود وفي أسرع وقت.

- طب تصدَّق بمين يا عِشرة السنين إنت؟ إحنا لا عمرنا كنا كويسين، ولا حنتفق طول ما أنا على وش الدنيا، يا صرصار يا فاشل يا أفَّاق يا مفلس يا بتاع التلات ورقات، ياااا...

- حيلك، حيلك يا ست الجوهرة النفيسة. هو إنتي لسه عايشة في دور الأصلي الألماس، وعايزة تظهري من غير مكياج، وبلا رتوش، وفاكرة حيقبلوكي، ولا حيعبروكي، ولا حتى حيشوفوكي من أصله يا خايبة يا موكوسة؟

- أينعم.. زي ما الغالي تمنه فيه، الأصلي يكسب ويقُش، مش زيك يا ابوتلتوميت وش ووش!!

- إنتي عايشة زمن مين يا هبلة؟! زمن الأساطير؟ ولَّا زمن العجايب؟ ولّا زمن المصباح السحري؟ ولّا زمن الحلم العربي؟ ولّا الفيلم الهندي؟ اتنيلي.. إحنا هنا في زمن شوَق ولا تدوَق. زمن عيني فيه وأقول إخيه. زمن إني أكذب وأتجمل في آنٍ واحد، عشان اللي تغلب به العب به يا روحي.

- تخريف في تخريف. وكلام فاضي وتزييف. وكل المستور مسيره ينكشف يا خفيف.. وساعتها حيبقي شكلك وحححححش، وحتخسر الجلد والسقط.

- وتسمحي تقوليلي إنتي بقى يا أصلي كسبتي إيه لحد دلوقتي من ساعة ما

نشّفتي دماغك واستحمرتي وقررتي ماتلعبيش لعبة الحياة؟.

- كسبت كتير..

- بس اخرسي ولا نفَس، أنا لسه مكملتش كلامي. إنتي عايشة عيشة الكلاب الضالة. لا عيلة، ولا ونيس، ولا جليس، ولا سند، ولا حد ياخد بحسك ولا يشيل اسمك، ولا حتى يشيلك لما الأيام تحني اللي باقي منك. لأ واللي زاد وغطى خسرتي شغلانة ورا التانية عشان شوية مبادئ فارغة كفر بيها كل الناجحين، الشاطرين من أزل الأزل. كل اللي لعبها صح حواليكي بيلعب بالفلوس لعب، وبيسافر، وبيتفسح، هو وشريك حياته وعياله وحبايبه، وبيترقى ويعلى وآخر منجهة.

- خلَّصْت؟

تحب أقولك أنا كسبت إيه؟

- غنّي ولحني يا عنيا نفس الأسطوانة بتاعة الفشلة أمثالك.. كسبتي نفسك صح؟!

- لأ..

- إيه ده؟ هي الأسطوانة نزل منها نسخة جديدة ولَّا إيه؟

- لو سمحت خليني أكمل كلامي.

وضع شواربه الكثيفة على فمه الأجوف معلنًا الصمت والامتثال.

- كسبت إني لاقيت اللي يعجبه حالي من غير زواق.

كسبت اللي حب لوني من غير أي إضافات ولا محسنات.

كسبت اللي عشق هيئتي وطلّتي من غير تكلف، ولا منشطات.

كسبت اللي صدَّق قلبي قبل ما يسمع حتى كلامي.

- إنتي رجعتي تحلمي، وتهلوسي تاني؟

- اسكت ساكت واقطع النفس خالص إنت المرة دي.. وللأبد.. واسمع الحقيقة الحلوة الحقيقية..

دايمًا بيقولوا إن الواحد مش بيقدَّر اللي معاه إلّا لما يروح منه. الحقيقة، فيه طريقة تانية اكتشفتها للموضوع ده. إنت ساعات كتير بتعرف قيمة اللي معاك لما تلاقي غيرك نِفسه فيه، ومحترم قوي اللي عندك، ومقدره وحيموت يكون عنده زيه.

- - - - -

- يعني مثلًا ناس كتير مش حابة فكرة إن شعرها كيرلي، أو مفلفل. أو إن بشرتها سمرا. أو إنها طويلة شوية زيادة، أو قصيَّرة شوية زيادة. أو إن ملامحها واضحة. أو إن شخصيتها طاغية فارضة نفسها، أو، أو، أو حاجات تانية كتيرة. لكن لما تتوجد في مكان تلاقيك حيتهبلوا عليك عشان إنت البطة السودة.. تخيل يجي اليوم تكون البطة السودة فرخة بكشك، يا صرصار الغبرة!!!

- - - - -

- تفتكر حيكون إحساسك إيه ساعتها؟ وإنت طول عمرك بتستخبى وكأنك مشوَّه، أو عندك عاهة ومكسوف حد يشاورلك عليها ولَّا ياخد باله منها، ولّا يعايرك بيها.. وفجأة وبدون مقدمات تلاقيك متشال على الأكتاف عشان نفس السبب اللي كنت بتتدارى منه زمان..

- - - - -

- - كسبت إنَي اتعلمت إني أدوّر.

ع اللي يقدَّر.

وأبدًا ف يوم ما أتكدّر

مسير اللي هدِّني.. يعليني!!

طار مجرجرًا جوانح مكسرة مهلهلة. وقبل أن يحلق بعيدًا رمقني بنظرة ملؤها التحدي. وجدتني أرددها بعزمٍ وثباتٍ:

- ما تحاولش تكون حد تاني غير نفسك!!

الصرصار الحلزوني

- ممكن يكون أي حاجة.

- هو الدكتور قالك كده؟

- أيوه. أنا مش عارف أعمل إيه؟ كل ما أتخيل شريف الصغنن ممكن يحصل له أي حاجة..

- طب استني بس بالهداوة.

- مش قادر. أنا هأقفل دلوقتي.

وأغلق الخط بسرعة حتى لا أسمع صوته وهو يختنق.

التقيته في اليوم التالي. سعيد البشوش دائمًا. ليس هو بالتأكيد. لسبب ما طالت ذقنه في يومين، وكأنه لم يحلق لأسابيع. وجهه أصفر وكأن تلك الحياة التي كانت تسري في وجهه تتسرب بسرعة وبالكاد تكفيه للاستيقاظ.

- إيه بس احكيلي.

- أنا ماعدتش عارف أعمل إيه بجد؟

- طب معلش عشان خاطري نبتدي من الأول وبالراحة.

- رحت عملت الأشعات والتحاليل ورحت للدكتور في المستشفى، قالّي زي ماقلتلك "ممكن يكون أى حاجة"

- طيب كويس.

- كويس؟! عارفة معنى كده إيه؟ ممكن يكون ورم. أنا مش قادر أتخيل. لأ الحقيقة أنا بتخيل ليل نهار. بتخيل..

- طب والدكتور التاني ما طمنكش؟

- لأ. ساب الباب مفتوح. سابهولي عشان أتخيل سيناريو ورا سيناريو. كلها صور وحشة. أوحش من بعضها.

- طب إهدا بس.

- أهدا إزاي! أنا مخي بياخدني في دوامة بلاقيني مشيت من دكتور لدكتور، لعملية، لتفاصيل كتيرة في القصة من أولها لآخرها. وهنا بدأ صوته مرة أخرى في الحشرجة معربًا عن معاناة شديدة، ألم لم يحدث ولكنه حقيقي وموجود. وفي الحقيقة مفهوم أيضًا. وجهه أيضًا أصبح أكثر إظلامًا. وفهمت لحظتها كيف يمكن أن "يكفهر" الوجه.

- وقف.. وقف.

لم أرَ صرصارًا واحدًا، بل العديد من الصراصير "المهيبرة" بطريقة غير عادية، يرقصون رقصة حلزونية وكأنهم قبيلة هندية تعلن عن حرب وشيكة.

- إهدا بس، أنا مقدرة وطبعًا صعب. قلت ذلك وأنا الأخرى على وشك البكاء.

خرجنا إلى حديقة منزله ونظر إلى أسفل وهو مقطب الجبين، ينفث دخان السيجارة في يأس.

- وبعدين الدكتور قالك إيه؟

- قالِّي خُد ابنك وروح. ورجع قال مفيش أي حاجة واضحة.

- طب عال. مش ده الدكتور المتخصص؟ طب الحمد لله. كده ده شيء يطمن.

يعني لو كان الاحتمال الأكبر إن فيه حاجة بعد الشر ماكانش أكيد قال كده. طب هو شريف عامل إيه؟

- زي الفل. بيتنطط مع إخواته. زهقته أنا بس. وهنا ابتسم قليلًا وهو يتذكر. بس المشكلة إني لما بحاول أفهم وأدخل على النت الله يخرب بيته..

وهنا رأيت ساحة الحرب تتحول من قبيلة هندية تقرع الطبول في أذني سعيد إلى مجموعة من الهاكرز البروفيشونال قوي، كلٌّ يجلس على كرسي مكتب أنيق، تزين رقبته ربطة عنق آخر شياكة ومعه تابلت آخر موديل.

أنظر إليهم وأداعبهم علَّهم ينظرون لي لبرهة ويتركون سعيد في حاله.

- أهلًا أهلًا. إيه التقدم التكنولوجي ده؟

لا يلتفت إليَّ سوى صرصار واحد، تُزيِّن الحائط وراءه لوحة مكتوب فيها "اللي تكسب به العب به". ثم يعود مرة أخرى ليستكمل الضغط، بشغف ونشاط، على العديد من اللينكات والمواقع مثله مثل باقي المجموعة.

أعود مرة أخرى لسعيد.

- إوعى إنت.. خصوصًا.. إوعى.

- ما إنتي طول النهار بتبصي على النت..

- أنا أبص براحتي يا كابتن. أنا ماعنديش الصرصار اللي عندك ده لا مؤاخذة. عندي صراصير تانية كتير بس مش ده. إنت لأ. النت ده خط أحمر.

- صرصار تاني يا أمينة!!

- أيوه يا سعيد. إنت الصرصار، قصدي الصراصير، اللي عندك عاملة حفلة، وإنت ما شاء الله عمال تأكِّلها وتشربها من على النت.

- مش قادر. مش قادر.

- بيوسوسوا في دماغك وبعدين ينهشوا في قلبك صح؟ هي الصراصير يا ابني.. أنا شايفاهم أهو.

- خلينا والنبي في اللي إحنا فيه.

- ما إحنا فيه، خلينا نقف وقفة هنا قبل ما المكان كله يتملي صراصير.

قلتها وأنا بيني وبين نفسي بدأت أشعر بالقلق. بدأ صرصار منهم يقترب مني ويحرك شاربيه بتهديد. وهمس صرصار قديم في أذني "إنتي ماعندكيش دم؟ ما هو لازم يتحرق". هششتهم بسرعة ونفثت أنا الأخرى دخان السجائر في وجهه حتى ينزاح. ترنح قليلًا ثم اختفى.

- خلينا نمسك ونستمسك كده بالواقع. أول واقع: إن فيه ورم صغير. تاني واقع إن التحاليل كويسة والأشعة مش واضحة. ثالث واقع إن الولد بيلعب ومش بيشتكي غير منك. ورابع واقع إن الدكاترة قالولك خُد ابنك وروح. صح؟

- صح!

- واقع كمان. إنت عملت كل حاجة ممكن تتعمل. صح؟

- صح!

- الدكاترة قالوا إن عنده بعد الشر حاجة وحشة؟

- لأ.

- الحمد لله. ممكن يكون أي حاجة. ممكن يكون أي حاجة تانية صح؟

- أيوه.. الحمد لله.. بس مخي بيشدني هناك. صور صعبة والإنترنت..

- إتمسك بالواقع. إمسك في هنا وفي دلوقتي. في الوقت ده. في اللحظة دي هنا. مترحش مع النداهة منين ما تندهك. أنا خايفة لا توهم الولد.

- أيوة ده زهق مني وقال لي كفاية بقى.

- الوهم ده زي ال placebo effect عارفه؟ (استرسلت في الحديث دون أن أنتظر إجابة):

دي ظاهرة معروفة. العلماء عملوا تجربة وقاموا فيها بإعطاء مجموعة من المرضى الدواء المظبوط بالمادة الفعالة. وكان هناك مجموعة أخرى قاموا بإعطائهم الدواء بدون المادة الفعالة. وقاموا بمتابعة المرضى وصحتهم. وجدوا أن المرضى الذين تعاطوا الدواء من غير المادة الفعالة نسبة كبيرة منهم صحتهم اتحسنت زيهم زي اللي أخدوا الدوا المظبوط! تخيل؟ وده تأثير الفكرة على الجسم. الاقتناع على البدن. فهمت؟

- طب أعمل إيه؟

- أولًا ممنوع منعًا باتًا الإنترنت ليك، ولأمثالك اللي الإنترنت بيلعب في دماغهم.

ثانيًا: أول ما تيجي صور وحشة رجع نفسك للواقع وللوقت الحالي. واستبدلها بسرعة، قبل ما تكبر، بصورة حلوة ليك مع الأسرة في الشمس وإنتوا مبسوطين. خلي الصوره واضحة وقريبة وملونة وزاهية.

شعرت به يبدأ في التنفس بقدرٍ من الراحة وكأنه في قرارة نفسه يتساءَل "وهو ممكن كده"؟

- إنت بقالك فترة متغير وده مش حلو لا ليك ولا للولاد ولا للأسرة ولا لأي حد. ماتجيبش لنفسك الهم.

هنا توقفت الصراصير عن أنشطتهم في الحرب الإلكترونية، وكأن مشاعرهم قد جرحت، وقالوا في صوت واحد "هم!؟".

- إحنا كنا بنحميه!!

- معلش النبطشية خلصت. ممكن تتفضلوا دلوقتي.

وأكملت حواري معه:

- بُص يا سعيد. الصراصير اللي عندك دي ممكن نسميها النداهة أو الدوامة لأنها بتاخدك في حتة تانية خالص مش موجودة دلوقتي. بتدخل الأول عليك بفكرة ممكن تكون موجودة في الواقع. لكن هي دحلاب كده دحلاب. تقعد تتسحب وبعدين تبني فكرة على فكرة تانية مش موجودة. وبعدين فكرة أكبر وأكبر، لحد ما تبقى حاجة كبيرة قوي زي الحلزونة يامَّا الحلزونة.

ضحك أخيراً سعيد. ورأيت الصراصير تتهاوي على الأرض واحدًا تلو الآخر. فالضحك من أكثر الأسلحة الفتاكة في حربنا على الصراصير. المهم أن يكون ضحكًا حقيقيًّا، وليس من النوع الساخر بتاع هم يضحك وهم يبكِّي.

- زي النكتة بتاعة الراجل اللي راح يكوي القميص لقى المكوة مش شغالة. راح يستلف المكوة من جاره. طول ما هو رايح عمال يفكر طب ولو مالقتوش؟ طب ولو لقيته وما رضيش؟ طيب ده حتى ممكن يحرجني. وأخذ يفكر ويفكر لحد لما وصل لجاره ورن الجرس والجار فتح الباب. كان الراجل خلاص عاش جوه سيناريوهاته قام قاله "الله يخرب بيتك مش عايز منك حاجة". بتعيش في الأفلام، وبتصدق، وبتبتدي تتصرف كأن الأسوأ حصل.

- وإحنا بنعمل كده ليه؟

- عشان مخنا عايز يحمينا من وجهة نظره. لكن لو ما سيطرتش عليه هيجننك.

سعيد يا عزيزي يلَّا ندخل جوه. الدنيا ليلت.

استقبلنا شريف الصغير بابتسامة ملء وجهه، وأصابع بها الكثير من الزيت.

- ماما عملت بطاطس محمَّرة وصوابع الجلاش اللي بتحبوه. قالها بفرحة لا يمكن تجاهُلها وهو يمد يديه لنا بتلك الخيرات.

- هو ده الواقع يا سعيد!!

صرصور Not Good Enough
أنا مش كفاية

أخذت العدة كاملة وتوجهت حسب الاتفاق إلى منزل مدام ثريا بالزمالك. ضغطت الجرس. فتحت الباب خادمة فليبينية أنيقة في العشرينيات من عمرها. "رطنا شوية إنجليزي" ثم أشارت إليَّ بالدخول إلى حجرة الصالون، مرورًا ببهوٍ طويلٍ تقطنه بضع من قطع الأنتيكة مختلفة الشكل واللون، يجمع بينهم شيء واحد: الثمن الباهظ. لم تكن حجرة الجلوس بأقل من ذلك الممر المطعَّم، فقد حوت "أوبيسونًا" كاملًا ولوحات زيتية جميلة، كتلك التي تباع بالمزادات. توسطت المكان طاولة مستديرة من خشب الماهوجاني، تعلوها مزهرية تزينت بتشكيلة من الزهور المستوردة الفواحة.

جاءت الفليبينية تحمل صينية عليها فنجان القهوة الزيادة وكوب الماء المعهودين. وعلى إثرها دخلت المدام ثريا مرتدية بنطالًا جينز أزرق، وقميصًا بربريًّا ووشاح شانيل وساعة سوداء مرصعة بالماس، وقد جمعت خصلات شعرها الأصفر في ضفيرة بديعة. أستطيع أن أميز رائحة العطر االسحري لتي سبقتها إليَّ جيدًا: يوفوريا.

بعد التحيات المعروفة والمقدمات المستهلكة، دخلت سيدتي في الموضوع على استحياء:

- أنا مش عارفة أحقق إنجازات حقيقية في حياتي.

- إيه؟ اشرحيلي أكتر لو سمحتي.

- يعني أنا حاسة إني ولا حاجة الحقيقة.

- ممكن تكلميني عن نفسك شوية؟

- أنا اتخرجت من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وحصلت على درجة الماجستير في الاقتصاد ثم تزوجت وأنجبت وسافرت للعمل بالخارج. حصلت على درجة الدكتوراة من جامعة كاليفورنيا وعملت بالتدريس في عدة جامعات بولايات مختلفة. أجريت أبحاث كثيرة في مجالي وحصلت على أعلى الدرجات في السلم الأكاديمي. توفى زوجي. تزوج أبنائي وبناتي. عدت لمصر. أنا أستاذ متفرغ الآن بالجامعة الأمريكية هنا. بس!

- كويس. ممتاز الصراحة. ويا ترى كل اللي حكيتيه ده مافيهوش أي إنجازات من وجهة نظرك؟

- (بشيء من الشك والحيرة).. بالنسبة ليا.. لأ.

- ليه؟

- لأن كل ده تطور طبيعي في حياة البني آدم، يعني يتولد، يتربى، يتعلم، يكّبر، يشتغل، يتجوز، يخلف.. والعيال تكبر وهو يكبر.. ويموت.. عادي يعني. حياة عادية زي كل البشر. لكن الإنجاز ده شيء مختلف تمامًا الحقيقة.

- ما هو مفهوم الإنجاز من وجهة نظرك؟

- الإنجاز هو إنك تموت، وحد يفتكرك بالخير ويترحم عليك من قلبه، ويفتكرلك مواقف حلوة أو حاجات ساعدته فيها في حياته.

- ويا ترى على مدار عمرك ومشوارك الطويل ده لم يتحقق هذا المفهوم في حياتك ولا حتى مرة واحدة؟

- (تحاول صادقة أن تتذكر) لو قصدك الأولاد.. دول عيالي وده واجبي إني أربيهم وأعلمهم وأكبرهم. ولو على التدريس الجامعي ده كان شغلي وكنت بأدّيه وبآخد عليه فلوس.

- فكَّرتي تِعملي أي أعمال أخرى خارج نطاق الأسرة والشغل؟

- قصدك إيه؟ مش فاهمة؟

- أعمال خيرية مثلًا.

- آه طبعًا.. زي كل الناس.. كفالة يتيم وصدقات وإعالة أُسَر فقيرة.. يعني حاجات كده.

- وده ما إداكيش أي إحساس بالإنجاز زي ما إنتي عرفتيه؟

- إداني شوية الحقيقة.. بس حاسة إنه مش كفاية.

- طب إنتي إيه اللي ممكن تعمليه ويحسسك بالإنجاز اللي إنتي عايزاه؟

- مش عارفة.. وعشان كده طلبت أتكلم معاك.

- إنت عندك أصدقاء ؟

- يعني.. مش كتير.

- بتتقابلوا أو بتخرجوا سوا؟

- مش دايمًا.. أنا بفضَّل أكون لوحدي معظم الوقت.. لأني لما بأخرج مش بتكلم كتير. مش باحس إني عندي حاجة أقولها.. حياتي عادية وأخباري عادية.. روتينية، مملة.. حأحكي إيه يعني؟ أنا بفضَّل القراءة.. أفضل صديق ليَّا هو الكتب.. تعرفي؟

أنا نِفسي أألف كتاب قوي.. عندي حاجات ياما عايزة أشارك الناس بيها.. نفسي أعمل كده قوي قبل ما أموت.

- (أول مرة أشعر بحماسها تجاه شيء من ساعة ما ابتدينا الكلام) كويس جدًّا.. وإيه اللي مانعك؟

- (يتراجع الحماس وتبدو الدهشة مع بعض القلق) لا لسه بدري عليَّا. أنا ماعنديش الخبرة الكافية لده. يعني لسه محتاجة أقرأ أكتر وأتعلم أكثر وآخد كورسات في الكتابة، وشوية كورسات في مجالي كمان قبل حتى ما أفكر أبتدي في حاجة كبيرة وهامة زي دي..

- عمرك ما كتبتي أي حاجة قبل كده؟

- لا كتبت.. (بابتسامة ساذجة) حاجات عبيطة كده من سنين طويلة، مقالات معظمها، وساعات أشعار وخواطر، وساعات حتى قصص.. وكل فين وفين أحِنّ للقلم ويحن لي.. أطلع الورق، أكتب شوية، وأحطه جنب إخواته في الدرج وأقفل عليها.

- محدش أبدًا اطّلع على كتاباتك؟

- (بارتباك وعدم تصديق) لأ طبعًا.. دي حاجات عبيطة بقولك.. يعني ماتستاهلش حد يطلع عليها أصلًا.

كان باب الغرفة المقابلة مفتوحًا، وضوء خفيف يتسلل منها. وقعت عيني على ما يشبه مكتبة هائلة فتوجهت للسيدة متسائلة:

- ما شاء الله.. مكتبتك دي؟

- (بابتسامة مشرقة) أيوه.. تحبي تلقي نظرة عليها؟ اتفضلي.

قادتني إلى غرفة المكتب الخاصة بها. استقبلني سطر "يخض" من الشهادات

العلمية "الجامدة جدًّا" من جامعات أجنبية رفيعة المستوى، ومكتبة كبيرة تحوي ما لا يقل عن ألف كتاب بلغات مختلفة ونوعيات أدبية وثقافية وعلمية متنوعة.. وجبة دسمة لقارئة متبحرة، وكاتبة واعدة تجهل بشدة كل ما لديها من إمكانيات.

- تفتكري الكتاب ممكن يكون الإنجاز الحقيقي اللي بتدوري عليه في حياتك؟

لمعت عيناها ببريقٍ لم أرَه منذ أن التقيت بها، بريق مَن وجد شيئًا كان يبحث عنه طيلة حياته ووجده فجأة صدفة. لم تجب. جلست صامتة برهة، تنظر للأرض من تحتها، ثم رفعت رأسها والريبة تطل منهما.

- بس أنا ما أقدرش أعمل كده. مش دلوقتي. أنا مش جاهزة لسه. قدامي وقت طويل عقبال ما أكون قد المهمة العظيمة دي. عمري ما كنت جاهزة أبدًا أصلًا، أبويا كان دايمًا يقولي "لسه بدري قوي على الخطوة دي.. هو إنتي تعرفي إيه عشان تعرفيه لحد؟ ادرسي أكتر واقري أكتر.. المشوار قدامك لسه طويل."

زاغت نظراتها. عقدت حاجبيها. برزت بعض قطرات من العرق على جبينها. وانتصب الصرصور واقفًا في شموخ وانتصار!

- - -

جلست في اليوم التالي مع مدام ثريا في أَحَبّ غرفة لها بمنزلها، غرفة المكتب الخاصة بها. علمت الآن تمام العلم أن لديها صرصار أنا مش كفاية Not Good Enough وصارت لديها رغبة عارمة في التخلص الكامل من هذا الوهم المعوق.

- إيه الإنجاز اللي لو حققتيه، تحسي فعلًا وتعيشي معنى الإنجاز اللي بتحلمي بيه؟

- إني أكتب الكتاب اللي في بالي، وأطلعه للنور، ويحقق أعلى مبيعات في سنة نشره في كل المكتبات.

- ممتاز.. بالتوفيق إن شاء الله.

- بس كل شوية يجيلي هاجس كده إني مش هأعرف أو إني ماعنديش حاجة مهمة تتقال.

- أو إن كل حاجة خلاص اتقالت.

- أيوه. وحاجات تانية كتير.

- زى إيه؟

- لازم لسه أقرا ييجي 30 كتاب على الأقل قبل ما أتجرأ أمسك قلم. أو في الحقيقة قبل ما أستحق أمسكه.

- بصي أنا مرة قريت مقولة بتقول "ابدأ وإنت غير مستعد". كان مقصود بيها الحالة دي. حضرتك عمرك كده ما حتحسي إنك مستعدة.

- إمممم..

- تعالي نساعد مخك يصدق أكتر إنك تقدري تكتبي وتنجحي. المخ مابيعرفش يفرَّق بين الحقيقة والخيال.

- إزاى يعني؟

- مش ساعات الواحد بيبقي ناسي حطّ الحاجة فين وبيتهيأله إنه حطّها في المكان اللي كان عايز في الأصل يستخدمه؟

- أيوه صحيح.

- المخ هياكل اللي هتغذيه به. فلازم نخلي بالنا بنأكّله إيه. قلتها وأنا أضحك، فضحكت هي الأخرى وقالت:

- يعني أأكّله أوهام؟

- وهو يعني اللي بياكله دلوقتي ده إيه؟ بعد كل اللي عملتيه ده يصدق إنك ماتعرفيش تألّفي كتاب إنت مؤمنه بيه؟ ده حضرتك لوقررتي ممكن تعدي المانش.

ضحكت في خجلٍ، ولكن بدا الاسترخاء على ملامح وجهها الأنيقة.

- بَدَل الأفكار دي خلينا نغذيه بصورة تانية جميلة تساعدنا. عايزاكي تقعدي مستريحة خالص وتتنفسي بعمق وهدوء. تخيلي نفسك في أحب مكان ليكي.

- دلوقتي افتكري كل مرة نجحتي في تحقيق حاجة حلوة.

ظللت أطلب منها المزيد من الذكريات المحفزة والدلائل المختلفة على إنجازاتها حتى شعرت بها وقد امتلأت بالفرح والفخر بحيث لم يعد هناك مكانٌ لتسكن فيه صراصيرها. ومع آخر موقف وجدت الصراصير بمختلف الأحجام تتناثر على الأرض ما بين جريح وقتيل من وشاحها الحريري الفواح.

فأكملت دلوقتي فيه مكان محتاجين نزوره. دايرة فيها معوقات وفيها الولاء الخفي. حاولي تتخيلي نفسك فيها.

تقوم مدام ثريا وتذهب إلى فوتيل وثير لتجلس فيه وإذ بها رويدًا رويدًا تكتشف أن لديها ولاءً تجاه معتقدات أسرتها التي تربَّت عليها منذ الصغر، وأن صوتًا بداخلها كان دائمًا يخبرها إنها لسه مش مستعدة وإنها مش كفاية. وتكتشف أن هذا الصوت هو صوت والدها وليس صوتها هي، ولا رؤيتها هي لنفسها ولقدراتها. ثم أسألها كيف ترى هي نفسها وهل توافق على ما يقوله هذا الصوت. وتكتشف أنها ترى عكس هذه الصوت تمامًا وأنها على أهبة الاستعداد الآن. اشتغل معها بعد ذلك على تقبُّل فكرة أن والدها يراها بشكل مختلف وفقًا لمعاييره هو، ومنظوره هو، وعليها أن تقبل بوجود هذه الفكرة لديه وإنه كان يريد لها دائمًا الأفضل ولكن بطريقته هو، وإنها يمكنها تقدير هذا الحب وهذا المجهود ولكن دون الموافقة على صحة هذه الفكرة أصلًا.

أجد أمامي مدام ثريا مذهولة. "لأ مش ممكن. يااااه. كل ده وأنا مش داريانة".

- آخر حاجة وأحلى حتة حبيبتي. اختاري كرسي حباه قوي. ممكن الأولاني كمان. غمضي عنيكي وتخيلي نفسك في حفل التوقيع. شوفي كل حاجة نِفسك فيها وبتحبيها.

- شايفاني وأنا في حفلة التوقيع، وناس كتيرة جدًّا من كل مكان حواليا، شارين كتابي ومستفيدين بيه قوي. وأهلي كلهم وولادي وأبويا فخورين بيا وبنجاحي. وأنا مبسوطة وفرحانة مش بس عشان أنجزت عشان ده طلع من قلبي أنا مش عشان لازم. عمالين نتكلم على الكتاب ونتصور.

- ومين إنت في اللحظة دي؟

- الكاتبة ثريا. وابتسمت بإشراق انتشر في الغرفة كلها وتساقطت مجموعة أخرى من الصراصير التعيسة.

- على طول غذي مخك بده. كل يوم.

أنهيت حواري معها وكلي إيمان بأنها ستحقق حلمها وسترى "إنجاز حياتها" أمام عينيها قريبًا جدًّا. قبل أن أغادر المنزل ألقيت نظرة خاطفة على أم رأسها.. وجدت آخر صرصار صريعًا، مطروحًا على ظهره، وقد أسلم سلاحه بعد معركة عنيفة! ووجدت سربًا من الفراشات البيضاء تحوم حول شباك الصالة تحاول الدخول.

دق هاتفي ذات يوم، وإذا بها تدعوني لحضور حفلِ توقيع كتابها الأول بأحد فروع مكتبة عريقة بالقاهرة. حمدت لله كثيرًا. تممت على العدة وأخدتلي تمشية حلوة على الكورنيش.

الصرصار المشغول

ما بين العطسة والأخرى وشعور بالضيق يتملكني، سمعته يهمس لي في حنان:

- سلامتك ألف سلامه يا جميل.

نظرت إليه في صمت. في الواقع "ماكنتش ناقصاه".

- بلاش سلبية. خلينا نفكر. طب لو عملتي إيه هتبقي أحسن؟

ولذهولي وجدت نفسي عادي أتجاذب معه أطراف الحديث.

- متهيألي لو مسكت ورق الباسبور وراجعته، ولو كتبت شوية وحطيت بس الخطوط العريضة للورشة الجاية ممكن أتبسط.

بدأ شعوري بالوهن يزداد وينتشر في أنحاء جسمي ووجهي. فكرت في داخلي "ده كأنه مستخسر فيَّا الراحة"

رأيته يستطلع بشنباته رد فعلي. أخذت أتأمله. إنه في الواقع صرصارٌ مألوفٌ للغاية. صرصاري هذا يأتيني كل صباح. دائمًا أستيقظ على كلماته "ورانا إيه النهارده يا حلوة" ويأتيني دائمًا أيضًا في اللحظة التي أهم فيها بإغماض عينيّ. صرصار مخلص بشدة. إنه صرصاري المشغول المنجز.

هممت بالرد عليه لأقول: والله تعبانة

و كأنه ساحر عتيد السحر يعرفني ويعرف أدواته، وجدت نفسي بسرعة أقوم

لأمتثل لأوامره، وأفتش في أوراقي. أحضرتهم ليرقدوا بجانبي على الفراش علّه يستريح قليلًا ويبطل زن.

أخذت أفتش في أوراقي ولم أفهم منهم شيئًا.

- يعني مش كفاية عندي برد جامد كمان تحسسني بالذنب والتوتر؟

- أعمل إيه؟ ورانا حاجات كتير. كتير قوي. قالها بصوت سريع وكأنه على وشك أن ينقذ العالم من ظلام مريع.

- يا عم أنا تعبانة مش بستعبط.

- ما هو إنتي اللي هتتدبسي. الليستة هتطول أكتر وأكتر. وإنتي عارفة ده بيضايقك أد إيه.

بدأت أشعر بصعوبة في التنفس بسبب البرد، وبسبب إحساسي. وكأن حياتي معه أصبحت مجرد قائمة طويلة من الأعمال التي يجب إنجازها.

أخذت نفَسًا عميقًا وعُدت مرة أخرى للنقاش مع ذلك الصرصار المشغول:

- طب أعمل إيه عشان تهدا؟

ابتسم ابتسامة الواثق من إمكانياته.

- يعجبني قوي طريقة تفكيرك يا أمُّونة واختيارك لكلماتك. فهمتيني صح يا أروبة. أيون لازم "تعملي" حاجة. قالها بصوتٍ خافتٍ تمكنت من سماعه دائمًا.

- ماشي. أنا تقريبًا مش هأخلص منك النهارده. والمرض واضح إنه مش اكسكيوز.

- شوفي يا ستي. ورقة وقلم ونكتب بالترتيب الزمني كده الحاجات اللي ورانا: ورق الباسبور – الفايل اللي لازم تذاكريه ولسه مابصتيش فيه – الورشة اللي عايزه تعمليها – الحاجات بتاعة الولاد – ومواعيد الاجتماعات و..

- حيلك حيلك. الساعة 8 بالليل وأنا عيانة يا بني آدم.. قصدي يا صرصار.

قلتها باعتراض شديد وإحساس بالقهر، ولكني لاحظت أيضًا أني في نفس اللحظة عدت لأتصفح تلك الأوراق، والإيميلات الخاصة بالمصاريف، والمواعيد المكتوبة في النتيجة الشهرية.

نعم رضخت له. بدون حتى أن يستمر في إقناعي. ما أنا تربيته برضو. كان أقوى مني. حاولت جاهدة أن أستمر في مراجعة تلك الأوراق المبهمة والتخطيط للأسبوع. التخطيط هو أحد مسكناته الرائعة وكأنه ما إن يراني أمسك في يدي بالنتيجة وأملأها بالأشياء حتى يطمئن قلبه وترتخي شنباته المتشنجة دائمًا مثل شفايف اللمبي.

و كأنه أدرك أن في خلية مجاوره للخلية القاطن بها تدور كل هذه التحليلات. التفت إلي قائلًا:

- يا حبيبتي. مش أنا دايمًا كنت معاكي ووراكي في كل الإنجازات اللي عملتيها؟ هو أنا بعمل كده ليه مش لمصلحتك؟

أخذت أفكر.

هو صحيح كان معي تقريبًا طول العمر. أذكره وأنا بالصف الابتدائي الثاني وقد صمم على أن أقوم من النوم لكي أنهي الواجب. ولم أفعل. لكنه لم يتركني لأنام حينها، كما لم يمحُ هذه التجربة من ذاكرتي.

محق هو بطبيعة الحال. الشعور بالإنجاز شعور جميل. فأنت تقضي على قائمة الأعمال اللعينة تلك وترمي بها بعيدًا..

- بس الليستة عمرها ما فضيت يا أمينة. وجدتني أرد على نفسي: "عمرها".

و تذكرت ذلك الموضوع الذي قرأته عن مسببات التوتر. والتي كتب عنها كاهلر في السبعينيات. أفكار كانت تعيش في أمان مع سائر الأفكار النبيلة. أفكار وتشجيعات من الأهل ومن المجتمع حتى يصبح مجتمعًا أفضل. فمثلًا يطلب

الأهل من الطفل أن يسرع في ارتداء ملابسه بدلًا من اللعب. أو أن يسرع في إنهاء واجباته حتى ينام مبكرًا. ويحاول أحيانًا الطفل الاستجابة ويفرح الأهل أخيرًا سنخرج. أخيرًا سننام. ولكن في وقت ما وبشكل غير واعي يقوم هذا الطفل بالاقتناع التام بأهمية الإسراع. وتدريجيًّا تلك الفكرة اللطيفة التي قد تكون مناسبة أحيانًا وقد لا تكون مناسبة بالمرة، تصبح معتقدًا راسخًا. وفجأة تقوم بتأجير إحدى الخلايا الشرحة البرحة إيجارًا قديمًا، وترفض أن تتزحزح من مكانها على الإطلاق.

وأصبح أنا بهذا الشكل حالة من الانشغال الدائم المصحوب بتوتر غير مبرَّر!

ويا سلام يا سلام لو مسببات التوتر الأخرى التي ذكرها كاهلر قررت بدورها أن تستقر في أعماقي. مثل "كن مثاليًا"، "أسعِد الآخرين/ كن لطيفًا معهم"، "كن قويًّا"، أو "حاول بشدة"

كلها تبدو نصائح بريئة لا تمت لهذا الصرصار المُصر على أن يعدمني العافية بشيء. وبالفعل فهي رائعة. حتى قررت أنا أن أتولى تربيتهم في قفص أسكن أنا فيه!!!

لاحظت أن إحدى عينيَّ بدأت في الانكسار، ورنوت بعيني الأخرى لأنظر للصرصار العزيز. وإذ بي أجده مستلقيًا على طرف الفراش، متدثرًا بغطاء فراشي الوثير، واضعًا كوبًا من النسكافيه على الكومودينو وهو يتصفح الفيس بوك!!

و هنا فاض الكيل. أنا لا أعمل هنا لمصلحتي. أنا لم أضع حالتي الصحية كأولوية ولم أستمع للشكوى المنبعثة من أجزاء جسدي! "أنا بشتغل لحسابه والبيه قاعد مروق!" هكذا قلت لنفسي.

تركت لجسمي حرية الحركة في الفراش. أزحت البيه الصرصار، وأغمضت عينيّ ذاهبة في سبات عميق.

بعد ما يبدو وكأنه نصف الساعة انطلق المنبه في الرنين معلنًا أنها السابعة صباحًا. يا الله. يبدو أن مجهوداتي البارحة قد جعلت دور البرد أكثر سوءًا.

نظرت حولي أبحث عنه. لا أدري هل كان هذا لأطمئن لعدم وجوده، أم في انتظار تصفيق حار على كل ما بذلته من مجهود وأنا مريضة.

- منمن. صباح الخير.

وإذا به يقفز من شاشة الموبايل ليطالعني بوجهه القبيح.

- ورانا حاجات كتير النهارده يلّا بسرعة..

- هش امشي من هنا يا ابن المجنونة. النهارده أنا هاريّح.

وأغلقت الموبايل، واختفى صرصاري المشغول.

لهذا اليوم.

الصرصار المهاجر

- أنا قرفت من بلاعات البلاد دي.. حاجة زفت.

- مالك داخل بزعابيبك كده ليه يا حزين؟ داستك جزمة يارب إن شاء الله؟ ولا طارلك جناح؟ ولا رشوك؟ إلهي يغطوك ويزغرطوا قريب قادر على كل شيء.

- إيه القطران اللي بتهلفطي بيه ده، ولا حاجة من دول طبعًا. أنا بس كنت بخلّص بعض الإجراءات الحكومية السفلية.. وما أقولكيش حاجة آخر هم.. إمتى الواحد يطير ويغور بره البلاعات المحلية الحقيرة دي بقى ويرتاح ويقب على وش الدنيا؟ ويتعامل مع صراصير نظيفة، في بيئة قذرة أكثر احترامًا وتفتحًا؟

- (لم أستطع منع نفسي من إطلاق ضحكة طويلة مجلجلة ثابتة. ووجدتني أجيبه مستنكرة).. يخيِّبَك صرصار، بقى عايز تهاجر يا مضروب عشان يحصلك زي "فانسي المليان".

- مين يا فلحوسة "فانسي المليان" ده بسلامته.

- (متقمصة دور وصوت سمير صبري في البحث عن فضيحة) "فانسي المليان" ده واحد صاحبي ماتعرفوش.

- أنعم وأكرم، وماله اللي مش باينله اسم من صفة ده؟

- هاجر بلاد الفرنجة بعيد عنك. ومن يوميها وبدل ما كان "فانسي المليان" بقى يا عين أمه "منسي العريان" يا ولداه.

- ليه يا ست البنات؟.. فسووه ولا إيه؟!

- لا وما لك عليّا حلفان علموه الأدب، وعرفوه اللي عمره ما كان يخطر بباله.

- أحب أسمع. ولو إن ده مش حيغير من رأيي ولا ترتيباتي حاجة على الإطلاق.

- شوف يا صراصيرو..

- صراصيروو؟! ده إيه الرضا والمزاج العالي ده كله بس.

- لا ماتقاطعنيش، أنا خلقي ضيق، ووراياً جيش من أمثالك عايزة أشن عليهم حروب حارة، وباردة، وفاترة. فاتهد واسمعني للآخر..

- خلاص، خلاص إنتي حتتنططي علينا، رشيت في حنكي فنطاس مبيد واتكتمت.. اتفضلي اتحفيني بتخاريفك المعتادة.

- من شوية وفكرة الهجرة دي حلم كل الشباب من الجنسين. وكل شوية تلاقيلك حد من معارفك ولا أصحابك ولا أهلك جتله الفيزا إياها وشرخ. وقعد يبعت في صور حلوة مليانة فرحة وأمل، وكلمات رنانة عن الحرية، والعدالة، والديمقراطية، وانعدام الستيجما والديماجوجية، وفراخ مكلبظة صحية، وساندوتشات رز بالمهلبية، وشغل فنادق عالي المستوى كده.. فأخينا قالك طب وماله؟ إشمعنى أنا؟ الكل حواليا بيعملوها، واللي أقل مني إمكانيات، وكفاءات، ومهارات، وشهادات، وفتكات وعطيات، وهلم جرا. فقشطة، هما مش أحسن مني في حاجة. وراح سائل عن الإجراءات، ومقدم أوراقه وساب الموضوع ياخد وقته.

- كلام زي الفل.. وبعدين؟

- لعب الحظ معاه وبعد كام سنة بعتوله تأشيرة الدخول إلى الجنة.

- الله الله.. عقبالنا.

- (بابتسامة ترتسم على وجهك لما حد يصعب عليك وتحس إنه رايح لقضاه).. حقول إن شاء الله بس عشان أخلص منك ومن شواربك الزنانة بالخراب دي.

- مش مهم، المهم يحصل.. هاه وبعدين كملي واوصفيلي جنة الفرنجة وملايكتها عاملين إزاي يا وش السعد؟

- هي جنة بملايكة فعلًا.. كلها أبيض في أبيض..

- يا سلام يا ولاد.. حتى البلاعات هاه هاه؟! (قالها ببلاهة مفرطة كأنه لقى لقية).

- اااه طبعًا أكيد.. أُمَّال ايه.. ما لما تكون درجة الحرارة 35 تحت الصفر، أكيد البلاعة حتكون طراوة وبياض أكتر بكتيييير..

- - - - -

- أيون ده شتا هذه البلاد الملائكية يا صرصر.. مش بقولك جنة.. وجدير بالذِّكر إن صاحبنا ده طووول عمره بيحب الشتا، وكان نفسه منذ نعومة أظافره يعيش في أجواء باردة مطيرة. بعد أما راح وشاف بعنيه وحس بجسمه اللي اتجفف ونشف واتشقق، بقى عنده مقولة شهيرة جدًّا.. ما تسألني إيه هي؟

- إيه هي (وقد بدأ القشف يعرف طريقه إلى شواربه)

- "أنا طول عمري بحب الشتا. وأتاريني بحب حد ما أعرفوش"!.. وياما وقف في محطات الأتوبيس والمترو وأخدت الريح تسقف على قفاه، وتعصر في كل خلية في جسمه، وتوقف سريان الدم في عروقه.. ده على الرغم من إنه لابس 7 طبقات ع الأقل ولا بدلة غواصين البحرية الأمريكان.

- أتوبيس ومترو.. ده باين إنه شحات صاحبكوا ده من أيام ما كان في بلده.

- (وأنا أضحك من غبائه التلقائي).. أبدًا، ده من سكان الأحياء الراقية، وكان معاه عربية بي أم سيريز 7، ومرتاح ماديًا جدًا.

- أُمَّال إيه اللي رماه ع المر ده المتعوس؟

- إنه السيستم يا عزيزي.. النظام المقدس الأعمى الذي لايرحم!

- لا بالراحة كده الله يرحم والديكي يا شيخة واحكيلي بشويش (قالها ورعشة تسري في أجنحته تزيد من جهوظ عينيه وتكتكة مفاصله).

- السيستم في البلاد دي هو الكينج.. مفيش منطق.. ولا عقلانية.. فيه سيستم وبس.

سيستم بيمشي على كل الوافدين، المتعلم والجاهل، الأسياد والعبيد، أبو إمكانيات أشكال وألوان والمعدم، المهاجر واللاجئ.. بل بالعكس اللاجئ بياخد أكتر.. بياخدوا من المهاجر ويدوه، على أساس إنه أفضل ظروفًا وجاي بجناحاته بإرادته، بحثًا عن حياة أفضل في بلاعة أنضف.

- كلام جميل.. قولي كمان فتح الله عليكي.

(2)

- ونقول كمان فتح الله دماغك عن قريب قول آآمين..

- اتوكسي.

- ماشي.. فانسي مليان يا ولداه كان فاكر إنهم بعد السنين الطوييييلة ديه اللي استغرقوها في التأكد والتفحص والتمحص من بياناته الفتاكة، وإمكانياته العملاقة، وإنه كوافد جديد، بكل تأكيد حيكون مفيد جداااا لإثراء الحياة والعيش والعيشة واللي عايشينها في بلاد المهجر، وإنه حيكون مُرحَّب بيه بشدة وبعنف،

وحيكونوا على أهبة الاستعداد لفتح ذراعيهم واستقباله بحرارة، تقديرًا لكل الجهود العديدة، والأعمال المجيدة، والآراء العلمية السديدة التي أثرى بيها العلم والإنسانية الشريدة على مدار عقود من الزمن، لقى حمادة تاني خاااالص.. الواقع إنه أخد أكبر كف على قفاه تَوَلُه باقي حياته. أخينا اكتشف إنك كأي مهاجر طازة بيتعامل معاملة العيل في بطن أمه كده تمام.. إنت نكرة، مجرد نكرة، ليس لك أي ماضي على الإطلاق. لا خبرة علمية، ولا أكاديمية، ولا مهنية، ولا لغوية، ولا إئتمانية. كلا البتة (ها ها ها ها) مالهمش فيه يا معلم. إنت بس يكفيك إنهم أنعموا عليك وسمحولك تيجي بلادهم الباردة، الخاوية، الشيك. بوس إيديك وش وبطن وكمل حياتك صلوات شكر!

- أنا مش قادر أصدق وداني إنتي بتقولي إيه.. يعني أنا كل السنين اللي قضيتها معشش في وجدان الخلق ديه وخاربلهم مخهم ومبوظلهم أفكارهم، ومربي جيل كامل ورايا من عتاولة الفتك الشعوري النفسي حيروح هدر، وحأرجع سلوتة ملوتة كده، صرصار بلا ماضي أسود مشرق مشرف؟!!!

- ده أأقل واجب ضيافة بيقدموه بعد ما يجففوك وينشفوا مفاصلك، ويوقفوا الدم في شراشيبك. ده غير طبعًا كم الأعمال الورقية اللي لازم تخلصها، وتستخرجها. ده فيلم تاني. متوقع، بس طويل وغالي يا صاحبي.. ده غير إنك لازم بقى تثبت نفسك من أول وجديد، وتبتدي السلم من أوله وكأنك لسه حتدخل الحضانة، كدراسة وكمهنة! ليه بقى.. ماتقولِّي ليه؟

- ليه يا ستي؟

- لأنك لو طلبت تشتغل على قد علامك وخبرتك حيقولوك: سوري.. فين خبرة البلد يا أخ؟!

ولو قدمت نفسك بمؤهلاتك الحقيقة وطلبت تبتدي السلم من أوله لأنك لسه جديد وعايز تتعلم وكدتشه حيقولوك: سوري ..إنت مؤهلاتك أعلى من الشغلانة.

over qualified

- يا مجاااااانيييييين.

- ها ها ها ها.

- يا لهوي علينا يا ولاد..

- لا اتقل.. أنا لسه ماقُلتش حاجة.. الزغلول الكبير لسه جاي.. اصبر على رزقك.

- رزقي؟! إنت خليتي فيها رزق.. إنت نتفتي أشيائي يا بعيدة (وبدأ النحيب على خفيف).

- بص لو لك حد تعرفه هناك ربط معاه قبل أما تدينا عرض جناحاتك، الدنيا في المهجر كوسة كبيرة.

- نعم، نعم، نعم.. إنتي بتقولي إيه مش مممممكككككن!!!

- لا ممكن عادي، وحيقصر عليك كتير، وحيختصرلك شويات.. كله بالحنية بيفك (بابتسامة واثقة).

- وفرقنا إيه عن هنا؟!

- ولا أيُوتها حاجة.. غيركش بس هنا بنسميها وسطة، هناك بيسمهوها معارف وكونكشنز.

- - - - -

(3)

- أكمل ولا كفاية كده؟

- تكملي إيه.. هو لسه فيه تاني؟

- فيه كتير بس اللي يسمع ويفهم..

- قولي كل اللي عندك.. خلصي عليّا..

- بعض ما عندكم يا افندم.. إنت جمايلك مغرقاني من ساعة ما وعيت على الدنيا.

- بلاش تريقة الله لا يسيئك وخشي على المفيد.

- المفيد إن الناس بتهاجر عشان أسباب مختلفة. والكل بيكونله دافع غير التاني. الدوافع دي هي اللي بتخليك تستحمل قسوة الظروف اللي حواليك. بس لازم تحسبها كويس وتعرف اللي مستنيك.

يعني مثلًا في التعليم، أكيد ممكن يكون أفضل وأرخص بس ده في التعليم الأساسي بس اللي مابيأكلش عيش. لو عايز تكمل لازم تدفع، وتدفع كتيير، وكله ديون متلتلة حتى آخر العمر. وبيكون الاهتمام في التعليم بإنك ماتضغطش على العيل من دول عشان مايحصلوش ضغط عصبي ويطلع يا عيني معقد. وإلا ممكن ياخدوه منك لأنك والد قاسي شرير لا ترحم، وعايز عيالك تذاكر بالعافية. وبتكون النتيجة في أغلب الأحيان إنه يطلع طري كده، مش عايز يتعب ولا يبذل مجهود. وبيرضى كتير بشغلانات بسيطة جدًا مدام مضمونة وتخليه يدفع أقساطه.

- الله.. ده شيء عظيم..

بس المفروض الحياة في البلاد دي سهلة وسلسة وكل حاجة متوفرة وتقدر تجيبيها ببساطة.

- ما اختلفناش.. بس هنا الإنة بقى.. إنت مربوط من لغاليغك في ساقية الأقساط اللتي لا نهاية لها. حفرة كبيرة، كل ما تحاول تسدها تكبر أكتر. يعني مثلًا إنت الأول بتدفع إيجار المكان اللي حتعيش فيه، وبعدين تحس إنه لأ لازم يكونلك بيتك، مين اللي قال لازم محدش عارف، بس هوه لازم وخلاص. تقوم إيه تداين للبنك بأقساط لسنين طويلة قُدّام. والعربية شيء أساسي فتدفع قسطها هي كمان. وتدفع الضرايب وما أدراك ما الضرايب. كل أما يزيد دخلك بيزيد اللي بتدفعه. وتلاقي في الآخر المدير زي الغفير، الاتنين شحاتين وغلابة. ده ماعندوش وقت يهرش من كتر الشغل وسواقي المديونيات اللي بيلف فيها يوميًا، والتاني ماعندوش اللي يكفيه عشان يلاحق على غلا المعيشة، وكل همه يعيش اليوم بيومه ويقضيها والسلام.

- سيبك إنت بس كفاية إني لو مرضت حلاقي اللي يعالجني ببلاش وآخر حلاوة.

- خدعوك فقالوا يا أبو الشوارب ع الصفين. العلاج هناك بالحجز. والحجز بالشهور. ولو رحت الطوارئ لازم تكون بتنزف وأحشاءك مترين قُدَّام عشان حد يتحرك ويعبرك. غير كده تتلقح بالتَّمَن والتسع ساعات لحد ما ممرضة ترضى تبصلك ولَّا تحاول تعرف إيه اللي عندك من أساسه. ياما ناس عندهم أمراض قاتلة وممكن تكون في مراحل متأخرة كمان، استنوا بالشهور عشان يعملوا عملية مصيرية، وده لأنه لازم يستنى في الطابور لحد ما يجي عليه الدور. ومفيش إنك تدفع أكتر بتتعالج أسرع... لا لا لا.. هي كوسة ولا إيه؟ فيه نظام.. وموت يا حمار، قصدي يا صرصار (ها ها ها).

- بس أكيد فيه ناس بتنتقد الأوضاع ديه وبتقدم أفكار وحلول للتغير.

- طبعاااا.. بكل تأكيد..

وبيبقى فيه دايمًا رد واحد شهير ومتجرب:

. هو كده. ولو زودها حبتين حينزلوا عليك بال it is what it is

I don't care

وتاني

it is what it is

- طب ما كده ولا بتعملي فلوس ولا علاج ولا مستقبل وظيفي. أُمَّال يا ختي الناس هارية نفسها هجرة ليه، وبيدفعوا دم قلبهم عشان تجيلهم، ولما بياخدوها ولا كإنها طاقة القدر اتفتحت لهم ويجروا يبيعوا اللي وراهم واللي قُدَّامهم، ويودعوا ناسهم، وديلهم في سنانهم ويا فكيييك..

- عشان مش عارفين اللي فيها، أو مش عارفين كل اللي فيها. أهم حاجة تبقى عارف إنت رايح ليه، وعلى إيه.. وتقلل توقعاتك، أو بمعنى أصح ترميها في البحر. العملية كلها تجارة في سوق كبير له قوانينه وقواعده. اللي بيجيبك بلده بيجيبك مش عشان عايزك أو محتاج إمكانياتك الفذة. بيجيبك عشان فلوسك وعشان عيالك اللي حيكونوا هما أهل البلد الأساسين بعدين. إنت وسيلة لا أكتر ولا أقل، وعاء شايل أجيال جاية، لو اتكسر في ستين سلامة، فيه ملايين غيره، عادي جداا.

فيه ناس كتير حتلاقيها تقولك إنها لاقت في البلاد دي الاحترام والآدمية اللي ملاقوهاش في بلادهم. آآآمين.. بس لما تكون مثلًا حاجة كبيرة في بلادك وتيجي تسوق أوبر، ولا تشتغل واقف على رجليك طول النهار وساعات كمان طول الليل شغلانات بيسموها "وظائف للبقاء" يعني حتى شوف التسمية يا أخينا الصرصار، وتدرس من أول وجديد كل حاجة زي اللي لسه في ابتدائي، وتشتغل بالشغلانتين والتلاتة في نفس الوقت عشان تسد ع المصارف، ويتمريس عليك اللي من دور

عيالك لأن عندهم خبرة البلد اللي مش عندك، واللي لازم تاخد وقت ساعات بالسنين عشان تبقى عندك.. أي احترام وأي آدمية دي اللي حتفيدك يا "فانسي يا مليان"؟!

وفيه ناس بتعيش نُص عمرها في بلاد المهجر، وبيفضلوا يحنوا لبلادهم الأصلية، بالذات اللي من أصول أوروبية، وساعات حتى بيشوفوا بلادهم الأصلية أفضل وأكثر تقدُّمًا وعراقة وأصالة وتاريخًا.. بس بيكملوا ويعيشوا في حنين لا ينتهي.. حتى ينتهي اللي مسيره يجيله يوم وينتهي.

- وده إيه ده كمان؟

- عمرك إلهي يقصف عمرك وعمر إخواتك كلهم.. ما تقول آآآآمين!

- - - - -

- مش بيرد ليه ده كمان؟

يا صراصير

يا عشرة

أخوكوا مغمى عليه..

حد يلحقنا ب 5 لتر فلتّ يفوقوه.. بس يكون مستورد!!

الصرصار الكئيب

- فرحان كده ليه؟

- إيه ده يا أختي ده؟

- متغير ليه؟

- هما بيطلعوا إمتى؟

- أنا قلبي عليييييك.. ترا را را لم لم

- إنت هتقولّي..

- فرحان كده ليه؟

- على فكرة محمد فؤاد كان بيقول زعلان كده ليه..

- ما أنا شايفك مبسوطة ومزقططة كده على غير العادة.. خير اللهم اجعله خير.

- سبحان الله في طبعك الخبيث.

أنا اللي أعرفه إن الناس لما تبقى زعلانة نسألها زي محمد فؤاد ما عمل، مش العكس.

- أيوه مظبوط. بس لما يبقى أصلًا إنتي كئيبة خِلقة، وتفرحي كده مدة، أقلق أنا بقى وأحب أطمن.

- لأ اطمن، وحط في شواربك فلت العسكري ونام واتهنى وانسى الزنة ..

- طب وليه؟

- ليه إيه؟

- مبسوطة..

- وليه لأ؟

- مش طبعك.

- وإنت تعرف كل طباعي؟

- عيب؟! مش على عزيز يا قطة.. ده إنتي تربيتي.

- وإنت صرصاااار (بصوت وأداء القدير الراحل عادل أدهم)

- برضو مش طبعك (بحنية مفرطة وشجن أعرفه جيدًا.. نفس النبرة التي لطالما استخدمها كي

يتقرب إليَّ كناصح أمين، يخشى عليَّ من الجميع إلا من نفسه).

- اتغيرت.

- كده مرة واحدة؟

- لأ.. واحدة واحدة.

- مش خايفة؟

- من إيه؟

- من اللي جاي.

- وأخاف منه ليه؟

- عشان جاي جاي.. مهما أجلناه، أو تجاهلناه، أو نسيناه.

- ما هو عشان كده لازم نفرح دلوقتي.

- وحنعمل إيه بعدين؟

- ما أعرفش يا ابن الكئيبة.. مش يمكن مايجيش أصلًا بعدين؟

- أيوه كده ابتديتي تفكري صح وترجعي لأصلك.. من أنجب تلاميذي إن كنتي إنتي ولا أختك

أمينة.

- لا يا تعيس.. أنا قصدي أقول مش يمكن مايكونش فيه بعدين..

فنعيش دلوقتي ونتمتع ونفرح ونرقص ونغني..

- نعيش اللحظة يعني؟.. طول عمرك بتحسبيها بالورقة والقلم والأيام والسنين.

- تعبت.. تعبت من كتر الحسابات.

وياريتها بتنفع وبتطلع زي ما بنحسبها، ألا دايمًا الإخراج بيكون عكس التوقعات، أو عكس اللي

بنتمناه.. وناخد الهُدر التمام.. ولا كف عنتر ولبلب كده.

- طب ما يمكن يبقى فيه بعدين.. والحقيقة إن دايمًا فيه بعدين.. ولو بعد حبتين.. حنعمل إيه ساعتها يا ضي العين؟

- عادي.. حنعمل زي ما عملنا زمان يا غراب البين.. (بابتسامة تترنح ولكنها تصر أن تحارب حتى آخر لمحة). حنقع، ونتوجع، ونسكت.. يمكن كمان نتكسر، ونتوه خالص، وتضيع مننا حاجات.. ونفضل تحت شوية.. كتير.. زمن..

ونقوم تاني والشمس تشرق في قلوبنا من جديد.

- ويمكن لأ.

- ويمكن آه..

زي ما فيه الاحتمال الوحش، فيه برضو الاحتمال الحلو.. النص بالنص.. وكله مكتوب.

شفتها مع كتير، أنواع مختلفة من القلوب.. ولسه عايشين، وعايشين كويس لحد النهارده وبيقروا عنك هنا وعن أشباهك رد البلاليع.

- طب ما لو هو كده ماكانش حد غُلُب يا ناصحة.

- ما هو محدش غُلُب فعلًا، إحنا اللي بنغلب نفسنا بأمثالك، ونفضل نلف في دواير، واحدة بتسلمنا

للتانية، ونفضل خايفين وقلقانين.. وعلى رأي اللي قال اللي بيعيش خايف بيعيش بنص عمر يا

صرصر.

- أفهم من كده إنك خلاص بطلتي تخافي؟

- لأ بخاف، وحفضل أخاف عادي..

بس مش هخلي خوفي يكتفني ..

مش هعيش وأنا خايفة.

لأ

هأخاف.. وبكل ألواني، هأعيش!

ولاح الصباح

واتلكم الصرصور الصداح

وعلم أن كلامه أصبح غير مباح..

اللهو الخفي

دخلت فاطمة غرفة الاجتماعات في هدوءٍ. تأخرت اليوم. كان الطريق مزدحمًا أكثر من العادة. تعمدت أن تجلس في أول كرسي بجانب الباب حتى لا تحدث أي بلبلة في الغرفة. تذكرت أيام المدرسة حين كان أبوها يجلبها أحيانًا بعد بدء الحصة الأولى. كانت تدخل بأقصى قدرٍ من الهدوء حتى لا ينالها من الحُبِّ جانبٌ. أفاقت من تلك الذكرى لتجد أن الاجتماع لم يبدأ؛ لأن شريف لم يحضر بعد.

كانت فاطمة شخصية لطيفة للغاية. كل الناس تحبها. من الشخصيات القلائل التي لم يختلف عليها اثنان كما يقولون. كانت تبدو سعيدة، أو في حالٍ طيبٍ دائمًا. كانت تؤدي عملها جيدًا. أفكارها أيضًا كانت عادة مفيدة، وفي محلها.

لم يكن لدى فاطمة أي صراصير. لم تظهر انفعالاتها وجود أي صراصير ساكنة. ربما كان هناك صرصار أو اثنان مأجرين مفروش لكن لا يبدو أن هناك صرصارًا كبيرًا يقطن المنطقة.

بالإضافة إلى ذلك فقد تفحصتها جيدًا في دخولها وخروجها، ولم أرَ أي صرصار حولها، أو حتى أولئك الذين يختبؤن في الخلف. أنا، وللأسف ومع الخجل، نظرًا لاستغرابي الشديد ومن أجل البشرية جمعاء، قمت مرارًا بتفتيش حقيبتها. ولكني لم أجد شيئًا.

و قلت بس! فاطمة هي الحل. ومَن الذي لا يحب فاطمة؟

يا ريت كلنا نكون زي فاطمة. يا بخت فاطمة!

ظللت أراقب فاطمة عن كثبٍ. لم أعد أراقبها لأجد الصرصار اللعين، لأني بدأت أتأكد يومًا بعد يوم أن ليس بجعبتها أي صراصير. ولكن كانت مراقبتي لها لأعرف ما هو ذلك السر الغامض الذي يجعلها محصنة.

حتى ذلك اليوم. بدأ مثل سائر الأيام. ودخلت فاطمة المكتب ولكن في صمت ثقيل غير مألوف. استدعتني روح الفضول لأن أقف على باب مكتبها لعلي أكون على وشك اكتشاف سر خطير. ولكن عندما دخلت ورأيت وجهها مقطبًا لا لون له، خفق قلبي بحزن.

- مالك حبيبتي؟

- مش عايزة أتكلم.

نظرت الي عينيها. وجدتها مليئة بدموع لا تسقط. شعرت بوجع في قلبي أنا.

- مالك يا فاطمة؟ فيه إيه؟

- مليش حبيبتي. معلش سيبيني دلوقتي.

قالتها بنفس أسلوبها اللطيف الحنون الذي لا يختلف عليه اثنان. وتعجبت أنا. كيف لها أن تظَلّ بهذا التماسك الرقيق في كل أوقاتها.

- طيب حبيبتي. لو حبيتي تتكلمي أنا موجودة.

لم أرغب في الضغط عليها، فهي رغم استمرارها ككتلة واحدة، كنت أشعر بأنها على وشك انهيار لا تريده. نظرت حولنا بحثًا عن أي صرصار حقير يمكنني اصطياده ولكني لم أرَ شيئًا.

مرَّ اليوم وفاطمة لم تنطق بكلمة واحدة لي أو لغيري. كانت فقط تضع يدَها على صدرها وكأنها تهدهد طفلًا صغيراً خائفًا.

جاءت فاطمة في اليوم الثاني نفس روحها المشرقة وكأن شيئًا لم يكن.

- أخبارك إيه النهارده؟

- الحمد لله. حلوة وإنتي؟

- الحمد لله.

مرت الأيام ولم أرَ أيَّ صراصير تلف وتدور حول فاطمة. اللهم باستثناء تكاثُر الأيام المليئة بالصمت.

حتى جاء ذلك اليوم.

دخل سمير المكتب وهو في حالة من الغضب وصرخ في فاطمة:

- إنتي ما عملتيش حجز الفندق في إسكندرية؟؟

- إنت قلت إنك هتعمله.

- لا ماقُلتش. وكان معايا ضيوف ومالاقيناش حجز. وكان منظرنا يقرف.

- أنا فهمت إنك قلت هتعمله إنت.حتي إنت بعتلي مَسيج بتقول كده.

- إنتي هتقوليني كلام على مزاجك. ما تركزوا في شغلكوا بقى.

- معلش أنا متأكدة..

- متأكدة إيه؟ إيه القرف ده؟

لم تنطق فاطمة بكلمة بعد أن قاطعها ولكنها قامت وتركت المكتب.

- ما ردتيش عليه ليه؟ على فكرة حتى لو كنتي غلطانة مش من حقه يكلمك كده.

وإذا بفاطمة تنفجر في حالة من البكاء والعويل.

- أنا مش عايزة أعيط. أنا مش بتاعة خناق وزعيق وقلة أدب. أنا.. وأكملت بكاءها فيما يشبه الصمت.

- ما تقولي فيه إيه يا فاطمة. ما ينفعش تكتمي في نفسك كده.

وإذا بي أرى صرصارًا كبيرًا يتجسد أمامي، وكأنه كان حاضرًا من قديم الأزل، ولم يستطع إخفاء نفسه أكثر من ذلك.

ارتعدت أنا.

- بسم الله الرحمن الرحيم. وإنت كنت فين يا ترى؟

نظر لي باحتقارٍ ولم يرد عليَّ!

- فاطمة حبيبتي هو فيه إيه بيحصل. مالك؟ قلتها بصوت عالٍ مرتعد وكأني ألقي بشعوري بالفزع عليها.

- مالك. مالك. إنتي ماوراكيش غير مالك. كل ما تشوفي وشي تقوليلي مالك. زهقتيني. إنتي ما بتتهديش. هو إنتي إيه؟

- - - - -

أشعر بصدمة وكأن فاطمة لبسها عفريت.

- عايزة تعرفي مالي؟ أنا أقولك. إنتي مش قادرة تشوفيني مبسوطة، وقوية، ومتمالكة. وإنتي طول النهار بتزعلي وتدبدبي في الأرض زى العيال.

أنا بقى متماسكة، ولطيفة، وقوية. أنا مفيش حاجة هتفرفتني وتهزني وتكسرني. عارفة ليه؟ عشان بحب نفسي كده.

لم أشعر بغضب. شعرت بحنان دافق مني لتلك الطفلة الصغيرة التي حبستها فاطمة وأرغمتها على البقاء في سجن من الحلوى.

أخذت نفسًا عميقًا وأنا أرى الصرصار المتجسد المختفي لأعوام ينتفخ نشوة، وكأنه الجني في قصة علاء الدين.

- أنا؟ مالي أنا؟ ما أنا اللي بطبطب عليكي وعلي الناس. مش وحش يعني إن يبقي فيه حد عاقل وفي نفس الوقت لطيف وهادي وماسك نفسه. أنا بشغل مخي وبرده بحس بالناس.

- أيوة حبيبتي. إنتي جميلة.

ووجدت نفسي دون أن أدري أضمها في حضن طويل وكأني أحاول حمايتها من صرصارها الكبير الثقيل.

- بس أنا مش ده.

وبدأت في بكاء له صوت أخيرًا.

- أنا مش ده. أنا كمان بكون عايزة أزعق وأدبدب ساعات، وأعيط وأنهار. أنا مش قوية للدرجة دي. ده مش أنا.

- يا حلوة، مافيش حد قوي للدرجة دي. مافيش حد كده. ودي مش قوة أصلًا. ده فيلم. مفيش حد ماعندوش وجع. مافيش يا فاطمة. إنتي مش محتاجة تعملي ده. إعملي اللي إنت عايزاه. عبري عن نفسك.

- ما أعرفش.

- زعقي. اشتمي.

- ماحدش هيحبني. والوقعات هتوجعني.

- ما هي أصلًا وجعاكي ومالياكي. سيبيها تطلع. السجن الجميل ده يا حبيبتي وردُه لبره وشوكه لجوة.

جلسنا سويًا على أرض المكتب بعد أن أغلقنا الباب. وبدأت هي أخيرًا بتحرير فاطمة كلمة.. كلمة، دمعة وراء الأخرى.

وما زلنا كلنا نحب فاطمة!

الصرصار الرقمي

- كام لايك لحد دلوقتي يا ترى؟!

يا ويلي.. نفس ذات السؤال يطرح نفسه عليَّ مرة أخرى.

يعذبني.

يكويني.

يضطرني أن أستمر في مقارنة نفسي بالآخرين، في محاولة يائسة أن أكون الأفضل دائمًا.

لكن مهلًا..

إنه ليس بسؤال..

- أخ خ خ.. قفشتك يا موكوس.. تعالى يا حلو.. ماتخافش.. أنا لوحدي، لا معايا حد، ولا أمينة، ولا مبيد، ولا أي أسلحة.

خرج من تحت خصلات شعري الغجري المجنون، ونظر إليَّ مرحبًا:

- موووووني.. إزيك يا حلوة.. ليكي وحشة بجد.

- وإنت مالكش أي وحشة ع الإطلاق الصراحة. بل غير مرغوب في وجودك البتة!

- ليه يا حبي بس؟

- بس بقى بلا حبي بلا كلام فاضي.

- أنا قلبي عليكي وعايزك أحسن الناس.

- بعدد اللايكات على بوست في الميديا الزائفة دي؟

- مش ده مؤشر لشعبيتك، واكتساحك قلوب المحبين والمعجبين؟

- لأ طبعًا (أقولها بتردُّد واهن ملحوظ، فيهب منتشيًا ويخرج لي بكامل هيئته ووجاهته القبيحة).

- طب عيني في عينك كده..

- بص.. هو مؤشر آه.. بس مش الأساس ومش كل حاجة.

- ما اختلفناش.. بس مهم. ومطلوب. ومؤثِّر.

- طب وبعدين؟!.. أنا بحط الحاجة من دول وأفضل حبَّة حلوين لا حِس ولا خبر. ولما حد يعبرني، مش بيكون بالقدر الكافي، أو حتى اللائق بلوذعيتي، وفني، وجمالي، وأحاسيسي المفرفطة المتفردة دي..

- شفتي بقى.. هو ده بالظبط لب الموضوع.

(سكتت لحظات أحاول أن استجمع فيها شجاعتي كي أرد. لكن أشعر أن الشيطان الخبيث هذا معه حق هذه المرة. حاولت أن أبتسم، ولكن وجدتني على وشك السقوط في بئر الظلمات. وهنا انتفضت فجأة وبادرته قائلةً):

- هش.. هش.. هههههههش.

- فيه إيه يا مجنونة.. اعقلي مش كده.. حتفرجي عليّا الصراصير المجاورة.

- إنت لسه شفت جنان.. ده أنا حفرج عليك خلق الله كلهم يا تعيس.. أنا عارفة ال process دي كويس جدًّا. أكون سعيدة، وفرحانة، وحاسة بالإنجاز. وكأني فراشة طايرة بانطلاق في الكون الفسيح. قوم إيه. قوم حضرتك وأمثالك من اللي

بيعملوا علينا حفلة كل شوية يصعب عليكوا قوي هنايا وفرحتي. فما يكون منك إلَّا إنك تنكِّد عليَّا. وأساليبك متعددة ما شاء الله، ما شاء الله. بس كل الطرق في الآخر بتؤدي إلى نفس روما: الحزن، والكآبة، والضيق، والمرار..

- إيه إيه.. حيلك.. حيلك يا ست فرويد.

مفيش أي حاجة من دي خالص أصلًا. أنا غرضي شريف.

- تصدق حتى ده أنا عارفاه..

You have a good intention

يعني بتوسوس في وداني عشان خايف عليَّا. عايز تحميني من شرور الآخرين، وشرور نفسي الجامحة. صح؟!

- معلوم.. أيوه كده.. إنتي أكتر واحدة عارفاني.. ده إحنا عِشرة عمر يا سنيوريتا.

- ويا ترى غرضك إيه المرة دي يا حبوب؟!

- مفيش..

غرضي مصلحتك في المقام الأول.

أنا مش مصدق إنك مش قادرة تاخدي مكانتك اللي تستحقيها.

لأ وايه، مش بس كده يا لوذعية إنتي.. غيرك ومش أحسن منك أبدًا -abso lutely

لايكات بالهبل، وتعليقات بالعبيط، وشيير بالزوفة..

- الله الله.. قسِّم واشجيني.. تصدق يعني أنا مش بس مش واخدة اللي أستاهله، لأ كمان غيري مش مفروض يكون عندهم اللي عندهم ده. أنا بس اللي أستحق اللي هما فيه.

- طبببببعًا.. عندك ذرة شك في ده يا تاج راس الشرق والغرب؟!

(مبتسمًا بنشوة عارمة، كمن تيقن أنه انتزع النصر من خصمه بالضربة القاضية).

- تعرف؟

- إيه؟

- إنت عندك حق!

- طول عمري يا أختشي ..

- بس فيه حاجة بسيطة أحب ألفِت نظرك ليها يا حامي الديار.

- قولي يا موز بالخيار.

- (مبتسمة).. ظظ!!

- نعم؟!!!

- بقولك ظظظظظظظظظ..

- ظظ في إيه بالظبط حضرتك؟!

- ظظ فيك، وفي أرقامك، وفي غيرتك، وفي أمثالك، وفي كل حاجة، وأي حاجة تنكد عليا.

- البت اتخبلت يا ويلداه..

- لا وإنت الصادق، عقلت.. أخيراً.

المقارنة باللي حواليَّا لإثبات إني الأفضل، ولا الأقوي، ولا الأميز مقارنة محمومة، نهايتها معروفة. يا الجنون، يا الانهيار. أنا اللي عايزاه إني أكون أنا. أنا وبس. أنا زي ما هي، بكل ألوانها.

عايزة أتعرف عليَّا، وعلى ملكاتي، وعلى قدراتي، وعلى فنوني، على كل النِّعَم اللي ربنا أنعم عليَّا بيها جوايا، وأطلَّعْهَا للنور، وأنوَّر بيها للي حواليا.

- مستحيل.. مفيش حاجة اسمها كده أصلًا.

- المستحيل هو إني أدخل في دواير من المقارنات والغيرة، وكل دايرة تسلمني للي بعدها، وتندهني لتحت، لأن مفيش فوق أبدًا بطريقة التفكير دي.

وبدون ما أحس ألاقيني غرقت في بير مالوش قرار، ممكن ما أعرفش أطلع منه ولا بالضاليين.

أنا عايزة أتنافس مع نفسي. عايزة كل يوم أكون أحسن من اللي قبليه في حاجة واحدة بس.

في إني أكون إنسانة أجمل من جوه ومن بره.

لنفسي

لأني أستاهل.

- مش عايزة تتعِرفي وتتقدري يا عبيطة؟!

- مش عايزة أفضل أحارب اللي حواليا عشان بس أرضي غروري والإيجو المنتفخ.

عايزة أتصالح معايا.

- .....

- وخليني أقولك. مفيش حد بياخد مكانة حد.

لو إنت عملت اللي عليك،

وحبيت بكل ما فيك،

وعلمت جوه اللي حواليك

حتعيش

للأبد..

حتى لو بعيد..

حتى لو محدش عملك لايكات كفاية.

حتى لو محدش حسسك إنه شايفك من أصله.

حتعيش.

وحيفتكروك كتير.

حيفتكروك بالخير..

لأنك ماعملتش إلا كل خير..

دايمًا، ومهما حصل!

الصرصار الحرنان

دخلت قاعة التدريب بعد أن استخدمت منشّتي الجديدة لإبعاد بعض الصراصير الصغيرة المهيبرة. كثيرًا ما يأتونني قبل القيام بأي عمل جديد أوموضوع مهم. أخذت نفسًا عميقًا وقلت بهدوء ورزانة و- مما فاجأني - بحب أيضًا "أنا هأتوّلى التدريب بنفسي. ميرسي كتير. مش محتاجاكوا في حاجة النهارده. ممكن تستئذنوا". ووجدتهم يخرجون من القاعة "من سُكات".

- صباح الخير. بدأت ورشة العمل بترحيب حقيقي بالمتدربين.

هدوء نسبي وحالة من الانتظار تخيم على المكان. أرى بجانب كل كرسي بعض الصراصير المنزوية منتظرة إشارة البدء. وما إن بدأت في شرح عملية التغيير والخطوات التي نمر بها جميعًا بدءًا من الشعور بالصدمة، تلك التي نقول فيها "لأ طبعًا مش ممكن" والتي يتلوها الغضب حيث نشعر بـ "ده ظلم!" حتى نصل إلى مرحلة التقبل ونبدأ نشترك في الأحداث وقد نتحمس لها بعد المرور لفترة طالت أم قصرت بأوقات من الكآبة والتوتر المتوقع.

وما إن بدأت بشرح ذلك النموذج المعروف حتى وجدت شنبات متحفزة من كل الجهات.

- إحنا كنا أهم ناس في الشركة.

وبالفعل قد كانوا وما زالوا، ولذلك تم ترشيحهم لحضور هذه الدورة التدريبية.

- بس النظام الجديد ده نظام أقل ما يقال عليه إنه غبي.. طب ومديرينا أخدوا الكورس ده؟

ثم انطلق خالد أحد المشاركين قائلًا بصوت يملأه الأسى:

- يعني مثلا أنا عملت تحليل لكل البيانات وبعد مناقشات ومناوشات تم الاتفاق على منظومة جديدة وده من غير ما حد ياخد رأيي. أوامر جاية من فوق. والمشكلة إنها مش في مصلحة الشركة. المفروض أقبل ده؟

رسمت على الأرض عملية التغيير: الصدمة، الإنكار، التوتر والغضب ثم الشعور بالإحباط وهذا هو حين نصل إلى القاع، ثم نبدأ مرة أخرى في الصعود الى أعلى ونبدأ في الاستكشاف ومرحلة التفاوض مع أنفسنا ومع الآخرين ويليها مراحل التقبُّل ثم الحماس والالتزام والشروع إلى بدايات جديدة.

نظرت إليَّ خالد ووجدت على كتفيه صرصارًا منهكًا وحائرًا، ولكنه عنيد ومصمم الى أقصى حد أن يظل خالد "حرنان" عند مرحلة الغضب والإحباط.

- خالد، إنت شايف نفسك واقف في أنهي مرحلة؟

- طبعًا محبط. ما هو أنا عندي حق. إحنا أصحاب الشركة. إحنا اللي بنيناها. إحنا اللي عدينا في فترة التعويم وقبلها. إحنا اللي عارفين مشاكل العملاء. أنا مش بفتي.

- أنا عارفة. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن أحيانًا.

- والمفروض أعمل إيه؟

قالها وكأنني قد انضممت لحزب الأعداء الذي لا يطيقه. ونظر لي ذلك الصرصار الخبير أبو نظارة في شموخ ممسكًا بيافطة "لازم يرحل". ثم سمعت الصرصار يتحدث بصوت عالٍ في القاعة موجهًا كلامه لخالد "ما هو بصراحة حاجة تنقط. حد يتجاهل خبرتك وماضيك المشرِّف؟ وكل الحاجات اللي موت نفسك فيها؟"

هممت بالرد على الصرصار "يا عم الصرصار، كده خالد هو اللي هيرحل مش النظام". نظر لي وكأنه مدرك تمامًا ما يجول في خاطري ولكز خالد في جانبه يستفزه. وهنا هاجت القاعة.

- أصل خالد ده كان بيشتغل 18 ساعة في اليوم.

- ده هو اللي بيعلم الناس الجديدة.

- ده العملاء بيطلبوه بالاسم.

وبدت وكأنها ستتحول إلى مظاهرة ضدي أنا. لم تكن صراصيري متيقظة الآن فهي تعلم أني أحب هذا الملعب بكل ما فيه من صراصير، وتعلم أيضًا بكمية المبيدات المستوردة المخبأة في حقائبي.

- الحقيقة أنا شفت كواليتي عالية في كل الموجودين. وواضح مدى إخلاصكم وتفانيكم في العمل.

كنت أعني كل كلمة. أبهروني بمدى حبهم للعمل. ولكني كنت أيضًا أحاول مداعبة الصراصير بلطف حتى تستكين وتعطيني فرصتي للتحدث مع المجموعة حديث من القلب. كنت أقول في قرارة نفسي "خسارة دول يقعدوا في بئر الحرمان والتعاسة أكتر من كده".

- تعالوا نفكر بشكل تاني. ممكن أعرف لما بتصحوا الصبح بتشربوا إيه؟

نحن كبشر بداخلنا "لوزة" واللوزة دي شغلتها إنها تقعد تسأل "ده عدو ولا حبيب؟" مخنا عنده - بالإضافة إلى قدرات مالهاش عد - خلايا صرصورية هدفها الأساسي والوحيد إنها تحمينا. أو على الأقل هي فاكرة كده. عشان كده بتواجه أي تغيير وتحاول توقفه. اللوزة دي عايزانا نفضل محلك سر عشان خايفة علينا.

الإحباط والشكوى أشياء لذيذة نلوكها بالسنتنا ليل نهار بلا ملل لأنها مهدئ قوي.

زى المنوم. مش بس كده، دول ليهم فانز، معجبين يعني. لازم نقوم وندوق حاجة حلوة ومسكرة عشان نفوق من اعتياد طعم المرار الساكن جوانا.

إنتم مبسوطين كده؟

انكمش بعض الصراصير عند سماع هذا السؤال غير المتوقع. وفردت بعض الصراصير الأخرى منكبيها استعدادًا للهجوم.

- عايزين توصلوا لمرحلة التقبل والحماس والمشاركة؟ ولا عايزين نفضل محبطين على طول؟

تمتم البعض على استحياء إنهم بالتأكيد يريدون أن يكونوا سعداء ومشاركين.

- التغيير هيحصل في الشركة وفي الحياة، وكتير مابيكونش على هوانا. بس هل تعرفوا شخص واحد فضلت حياته زي ما هي؟ ماعييش أو ظروف حياته ما اتغيرتش؟ أنا كمان مش بحب كل التغييرات. وفيه حاجات بتوجع أكتر من غيرها. بس دي حياتكم إنتم. هتركنوا في مكان تعيس ولا هنشوف ونجرب ونعيش؟

نظر لي صرصار واحد غاضب وأخذ يحك أذرعته استعدادًا للهجوم. فأعلنت هدنة قصيرة للكوفي بريك.

الصرصار المضحي

- طب مش عايزة حلاوة المولد؟

- لا ميرسي حبيبتي. أنا عاملة دايت.

- أنا عاملة رز وملوخية ماحصلتش.

- والله لسه واكلة.

- طب بصي خدي معاكي شوية في علبتين كده. وفيه محشي من إمبارح.

- ماما حبيبتي. إحنا اتفقنا نتعشا بره النهارده. فأنا مش مروَّحة على البيت.

تركت بيت العيلة وأنا أشعر بالامتنان. "مين تاني في الدنيا هيقعد يعزم عليَّا بقلب كده؟ ربنا يخليكي ليَّا يا ماما".

كانت أمي مثالًا للعطاء. وكان العطاء صفة نبحث عنها في كل أمٍّ بل ونمجده. "لكن ماما ما بتعرفش تستريح"

- ولا إنتي. إنتي بتستهبلي؟

- إيه مالك داخل فيَّا شمال كده ومضيع عليَّا لحظة الامتنان دي.

- ما هو أصلك مش بس بتحسي بالامتنان. كنت سكتّ. ده أنا يا صرصار بلاعاتي قديم مش قادر أسكت وأسيبك في ضلالك.

- يا سلام! من إمتى وإنت مهتم كده وقلبك عليَّا؟

- طول العمر. ما بابايا كان ساكن في دماغ ماما ربنا يخليهالك وأنا توارثت منه الصنعة وسكنت عندك. ما شاء الله عيله سهلة قوي.

نظرت اليه وأنا أمتعض بكل ما أوتيت من ملامح.

- وبصراحة عدد كبير من الأمهات خصوصًا، والستات عمومًا بيكونوا متأهلين من الأول. شغلانة سهلة وبسيطة وبتعمر.

قالها وكأنه يتذكر ماضيًا مشرفًا من الإنجازات.

- طيب وبما إنك فرحان كده، ماسيبتنيش أنا وماما في غياهبنا ليه؟

- ما هو بصراحة فيه دافع أناني يا قفشاني. الفيلم بطولتي والفرح فرحي. لكن معاكي بلاقي فجأة بتفصلي وألاقي زملاء كتير بييجو معايا.

- ليه هو فيه إيه؟ هوا أنا صيدة سهلة كده؟

- والله قولي لنفسك. إشي صرصار الذنب وإشي الواد دالي بتاع الفن والاكتئاب. حبيبتي أنا محتاج الساحة لنفسي. أنا بربي أجيال.

- إنت غريب قوي في صراحتك.

- أنا بسيطر على أشرف مهنة في الوجود: الأمومة وبخليها أنبل وأعظم.

- إنت بتاع حلل المحشي؟

- شفتي؟ فيه أحلى من كده؟

- هممم. إنت اللي خلتني أحس إني لازم أعيش للولاد بس؟

- وللمساكين والغلابة وأي حد محتاج. إنتي معطاءة. بتدي وتستحملي.

- أيوه بيسموني الأم تيريزا وساعات أم المصريين. قلتها وأنا في حيرة من أمري، هل أشعر بالفخر حقًّا أم بالحسرة.

- بس بلاقيكي فجأة وعيتي لروحك وتخرجي مع أصحابك ولا تروحي تتمشي.

- أُمَّال عايز إيه؟ أنا كمان عايزة أعيش.

- ما إنتي كأم بتعيشي من خلال ولادك. وإن شاء الله أحفادك.

- إيه يا باشا. أنا.. أنا عايزة أعيش. هو حياتي اتورثت بالحيا؟

- هو فيه أحلى من العطاء؟ فيه أحلى من الحياة من أجل الآخرين؟ لو الولاد كبروا عندك ناس تانية كتير تعيشي عشانهم. بلاش موضوع الخروج والكتابة والحاجات دي. إنتي عارفة كويس قوي بيحصل إيه لما بتقرري تطنشيني.

- - - - -

- الصرصار المذنب بيجيلك. إخلاصك ليّا مالوش حدود عشان أنا جميل. قالها بابتسامة جعلت شنباته ترتعش من الفرحة. لعلمك أنا من الأسر النبيلة عندنا في مجتمع الصراصير.

- أنا بحب الناس يا نبيل باشا. وأكيد بحب ولادي وعيلتي بس...

- شفتي ده إنتي بطلة. ده إنتي يتعملك تمثال يا أمورة.

- بغض النظر. أنا سمعت البوءين دول كتير. المهم عايزة أقول إني أنا كمان أستحق أتحب.

- ما إنتي يا حبة عيني محبوبة قوي من كل الناس.

- يا سيدي. دي نعمة من الله. أنا قصدي أنا أستحق أتحب من نفسي.

أنا أستحق أعرف حدودي وإمكانياتي وقدراتي سواء في الوقت ولا الصحة ولا الفلوس. أنا مش سوبروومان.

- فشر! ما تقوليش كده. ده إنتي ست الستات. وكل ما تدي أكتر كل ما الناس تحبك. هو فيه أحلي من حب الناس؟ وقيمتك بتعلى وتزيد يا ست الكل كل ما يحبوكي أكتر.

- يادي النيلة. ما تحاولش تقنعني. أنا مقتنعة. بس بُص يا أستاذ نبيل يا سليل العائلات. أنا قيمتي جوايا. وفيه فرق بين حب الناس والعطاء من ناحية والتضحية من ناحية تانية. إنت وعيلتك بقالكوا سنين بتقنعوا البشرية خصوصًا إحنا الستات إن التضحية أساسية وجميلة وكل ما الست تضحي أكتر وتخلص خالص مالص كل ما تبقي أحلى وأحسن.

- مش ده صح؟ ده حتى شوفي الأم المثالية لازم تكون واحدة تعبت تعب رهيب في حياتها واستحملت أهوال وضحت بصحتها وشبابها وفلوسها وياريت تكون تخلت عن أنوثتها وإيديها ورجليها وكليتها..

- أيون وتفوق متأخر قوي. تلاقي نفسها كانت عايزة تشوف حاجات وتعمل حاجات وتكتشف إنها موجودة لسه وتلوم أهلها وجوزها وولادها وتكره عيشتها ونفسها.

- مش مهم يا هانم. المهم النُّبل. تحقيق الرسالة. تربية الأولاد. الإيثار.

- لأ مهم. عارف ليه؟ لأن ربنا إدى لكل واحد حياة. وما ينفعش أصرف حياتي على حد تاني. كل واحد يستخدم حياته لنفسه. مش معنى كده ما أديش الناس حب واهتمام. معناه ما أديهومش حياتي.

- والـ..

- معناه أحبني وأشوفني. وأدي الناس وأنا كمان بعيش.

رأيته يلف ويترك الحوار ويسير متقهقرًا نحو الباب بأسى حقيقي وهو يضرب كفًّا بكف بينما شنباته دلدلت حتى لمست الأرض وهو يبرطم "جيل ما يعلم به إلا ربنا".

بينما خرجت أنا إلى النور وأنا أبحث عن المزيد من الفراشات والعصافير.

صرصار الوجع

- الوجع

(بصوت أسامة منير)

منطقة محظورة.. ممنوع الاقتراب منها أو المساس بيها.

كل واحد فينا بيلعب بعيد عنها بقدر المستطاع. وأول ما حد يشاورله عليها أو يحاول يدخله فيها، بنثور كالثور الهائج، أو زي اللي مسك سلك كهربا 300 فولت.. ويا ويله يا سواد ليله اللي صحَّى العفريت وما عرفش يصرفه..

- الله الله.. بقيتي شاعرة حضرتك..

- يمكن.. عارف يا صديقي اللدود؟

- إيه؟

- الوجع ده من أكبر محركات الإنسان، وأصعبها، وأشرسها.

- إزاي يعني يا سقراط يا صغير؟

- يعني اللي موجوع ممكن يتصرف تصرفات غير متوقعة. البعض ممكن يشوفها عنيفة، أو إجرامية حتى. ممكن في بعض الأحيان العكس، تلاقي الموجوع ده ساكت تمامًا، وصامت، وغامض، وقامت، صمت السحاب اللي بتحركه الريح بلا إي إرادة منه. ممكن كمان يتصرف تصرفات بعيدة تمامًا عن شخصيته الأصلية، اللي هو نفسه عارفها، أو اللي الناس عارفاها عنه.. يعني.. الموجوع استنى منه أي

حاجة، وكل حاجة، وولا حاجة.

- بس إحنا مش لازم نتوجع على فكرة.

- قصدك ايه؟

(واضعًا إحدى أرجله الهشة على الأخرى، ومضجعًا على الأريكة الوثيرة التي لطالما صاحبت رحلتنا سويًّا في كل همسه ولمزة لي، ممسكًا بفنجان قهوته المفضلة. وقبل أن يرشف رشفته الحانية المعهودة قال بثقة): الوجع اختيار يا موون يا بنتي.. وسهل قوي تتجنبيه.

نظرت إليه مليًّا، وعلمت أن الوقت قد حان للإمساك بالمبيد الآن.

- الوجع اختبار يا صوصو يا أخويا.. وكلنا بنعدي بيه.

إنت ماسمعتش مقولة جبران؟

- مين ده يا شاطرة؟

- do your homework

- جبران خليل جبران دوّر إنت عليه، بس هو أديب وكاتب كبير، من بتوع المعاميع (لا بُد وأن أخاطبه على قدر عقله، وأستمع إلى نصيحة أمينة حبيبتي وأنزل إلى مستوى المستمع.. سامحني يا جبران)

- آه.. زميل يعني؟

- أيووون.. زميل.. عليك نور.. من يومك نبيه إلهي يقصف عمرك .

- وقال إيه الزميل ده ياترى؟

- قال فيما معناه إنه من يتجنب الألم يتجنب اللذة، فهما وجهان لعملة واحدة.

- يعني مفيش حلاوة من غير نار، صح.. طب ما تخلي البساط أحمدي كده،

وتتكلمي كلامنا بلا لوية لسان فارغة.

- على مستواك البلاليعي.. آه واحدة.. بس ع المستوى الشعوري الوجداني تختلف.

- زيديني يا علاّمة.

- يعني كل لذة يصحبها ألم ما. شوف مثلًا أي حاجة بتحب تعملها وبتسعدك، حتلاقي لازم ليها جانب بيوجع ولو على خفيف.. الرياضة مثلًا بكل أنواعها شوف قدّ إيه اللي بيحبها بتبسطه وبتفرز كل هرمونات السعادة جواه، لكن لازم يعرق، ويتعب، وعضلاته تنقح عليه، وتوجعه، عشان تجيب النتيجة اللي هو عايزها. القراية، الكتابة، العلاقات بين الناس، الشغل، الحب، الشوبينج، وما أدراك ما الشوبينج يا صراصيروا، وجع المحفظة غير أي وجع (هاهاها).

- مفهوم.. مفهوم.. بس إيه علاقة ده بالموضوع؟!

- ده هو ده الموضوع.. اللي بيبسطك من دول، بيوجعك في آن ذات اللحظة، بس وجع لذيذ، طِعم، مستحب، مسموح بيه.. لو بطلت تعمل أي حاجة من اللي بتبسطك دي، مش حتتوجع آه، بس مش حتتبسط برضو.. وحتعيش كده من بره، على السطح، لا منك غصت وشفت اللي يملي نظرك وإحساسك، ولا منك طرت بحرية وطفت بانطلاق.

- بس وجع عن وجع يفرق يا حبي (ناظرًا من فوق نظارته اللتي تبرز أكثر جهوظ عينيه المنطفأتين).

- ابهرني.

- آرثر شوبينهاور الكاتب والفيلسوف له مقولة لطيفة في الحوار الغامق ده.

(لا يسعني غير أن أتعجب وأندهش، كيف يتلون كل مرة، ويحاورني بلساني

مستخدمًا لغتي ووجداني).

- قال (التضحية باللذة في سبيل تجنب الألم مكسب واضح). فيه وجع بنعرف نتخطاه، ونعلى فوقيه.. وفيه وجع بيشدنا لتحت وياخدنا معاه في سرداب ورا سرداب، ودهاليز كل واحد أسود من أخوه. وفجأة نلاقي نفسنا في أوضة كراكيب ضلمة مالهاش قرار، كلها أصوات، وخيالات، وألوان قاتمة بلون الدم.. ويامُره يا ظلام عيشته اللي ينزل هناك.. مبيطلعش يا حلوة.

- مين قالك؟

- أنا عارف.. شفت بشواربي محدش قاللي.

- وأنا كمان.. شُفت بعيني، وسمعت بودني، وحسيت بمشاعري، وصاحبت بوجداني، ناس وأنا أولهم، راحوا هناك ع الأقل مرة في عمرهم.. وguess what

- هاهاها من غير تخمين.. معروفة، بشفهم في العباسية ملقحين.. ومش عارف إنت إزاي مش معاهم من سنين؟!

- لا يا فكيك.. مش كلهم هناك.. أنا اللي شُفته غاصوا وقعدوا قد ما قعدوا، وطلعوا باللؤلؤ والأسرار.

- آه.. الجنان اشتغل أهو.. مش بقولك، لازم أبلغ العباسية عنك يا لولي.

- عباسية أما تلهفك يا موجوع يا تعيس.. إنت خايف.

- خايف.. فشر.. خايف من إيه كفى الله الشر؟

- خايف من النور لأنه حيعريك.

(منتفضًا ولكن بمحاولة بائسة لتمالُك شواربه وأجنحته التي بدأت في الترهل، وبابتسامة حاول جاهدًا أن تبدو حقيقية).. بس بلاش كلام فارغ.. أنا عريان طول

عمري، وأهو كلي صحة وشباب وحيوية، وبحاول أنقذ الناس من نفسهم..

- طب تعالى كده تحت الشباك..

- لا.. لا.. بلاش الله يكرمك.. أنا مرتاح هنا ع الكنبة وآخر تمام.

- شفت إنت خايف إزاي.. عشان عارف إن الوجع زي ما بيعلم علينا بيعلمنا، وبنخرج من تجاربه أقوى وأكتر فهما لنفسنا وللي حوالينا.. وبنوصل بيه لل -com passion اللي هو التعاطف يا أستاذ واللي هو يمكن الحكمة الأساسية من إن إحنا اتخلقنا سوا ومختلفين عن بعض..

- مش مقتنع.

- ولا عمرك حتقتنع.. ومش دوري إني أقنعك على فكرة.

- يا سلام..

- فيه حاجات كتير ماكنتش تعرف أصلًا إنها بتوجع كده. حبك للاكتشاف بيدفعك تغامر وتجرب. مش كل تجربة بتكون قاسية، ولا كل تجربة مفيدة. لكن لما تكون مصحوبة بألم، عادة هنا بيكون الفرق الحقيقي اللي حيخلق حاجة جديدة جواك، أهمها إنه حيبني صورة ذاتية مختلفة عن الملامح القديمة اللي إنت عارفها ومتعود عليها، وقابلها أو كارهها.

- .....

- مع الصورة المتجددة ديه بتتبني قناعات أجدد عن ربك وعن نفسك وعن الحياة من حواليك. وده بيخلق فرص واختيارات يمكن عمرك ما كنت تعرف بوجودها قبل كده من أصله.

الخوف هو الحائل الوحيد بينك وبين أي شيء في الدنيا دي. وأكبر خوف هو الخوف م الوجع. فلما تعرف بنفسك وتتأكد إن كل وجع بيروح طال أو قصُر،

وبعده بيضاف لون جديد في لوحة عمرك، بيشكلها ويكملها، حتقدر تدوس على خوفك وتفتح بيبانك للي جيّ.

- إنتي بتلعبي بالنار يا إيمي.

- عمرك لو ملمستش النار ما حتعرف إنها بتحرق.

بس لما تعرف، حتفهم، وحتقدر تطوعها عشان بس تدفي ماتحرقش. وممكن كمان تكتشف طُرُق توعِّي الناس بمخاطرها، وتدلُّهم إزاي يستفيدوا بيها بأقل الأخطار.

وحتقدر، وده الأهم والأسمى والغرض الحقيقي من وجعك، حتقدر تحس باللي اتكوى بيها زيك، وتتعاطف وياه، وتقدَّر معاناته ومحنته، وتكون إنسان بحق وحقيقي..

ولو مرة واحدة في حياتك!

صرصار الوجع 2

- أخبارك إيه حبيبتي؟

سألتني مشيرة صديقتي قائلة بصوت هادئ:

- الحمد لله بخير. بصراحة مش قادرة أزعل.

- إزاي يعني؟

- تعبت من وجع القلب. يعني أنا زعلت كتير قوي في حياتي وإنتي عارفة كويس أنا وجع قلبي شكله إيه.

- جديدة دي.

- أيوه. بس الحاجات اللي زعلتني في حياتي أنا زعلت كتير قوي عليها. وعيطت كتير قوي. فهي هي حتى لو اختلفت الظروف والتواريخ. فلقيت نفسي مش عايزة أزعل تاني.

- حلوة دي مفيكيش حيل تزعلي

(تعلو وجهي ابتسامة تشوبها الحيرة الممزوجة بالإعجاب).

انتهت المكالمة وجلست على فراشي مع كوب النسكافيه المتين ونظرت إلى يساري أبحث عن صرصاري. بالتأكيد إنه بجانبي في مكانٍ ما.

أشعر بهدوءٍ وصمت يجتاح المدينة.

- هو يا ترى ده صرصار ولا كده الصرصار مشي؟

أنظر حولي ولا أجد شيئًا هل اختفى حقًّا صرصاري؟ في الواقع أشعر بالخوف والوحدة.

سلفادور.. إنت مشيت ولا إيه؟

- - -

يبدو أنه لم يعد هنا سواي أنا ونفسي.

- يعني أنا مش فاهمة. إنتي مافيش حاجة عاجباكي. تتشحتفي وتنهاري ونروح لدكاترة مش عاجب، وده بصراحة ما يعجبش حد. تبقي عاقلة وكاملة ومتماسكة برضو مش عاجبك. إيه يا شيخة إيه (بصوت سعيد صالح في مدرسة المشاغبين).

وهنا أدركت أنه صرصار. لا ليس سلفادور دالي الفنان، ولكنَّه صرصار آخر.

- إنت مين؟

- أنا فرفورة.

- يعني إيه؟

- ما تركزيش مش مهم الاسم. تعالي نكمل الحوار الشيق ده.

- ماشي. كنا بنقول إيه؟

- كنا بنقول إن مافيش حاجة عاجباكي. إنتي عايزة إيه؟

- تخيلي مش عارفة. عايزة أكون مبسوطة.

- وهو إنتي مش مبسوطة؟

- و الله ما عارفة. أنا أصلي تعبت قوي من الطلعات والنزلات. اتهد حيلي. قلبي شال وحط واتشال واتحط. وقررت إني مش عايزة أحس بالوجع اللي إيمان كانت بتحكي عليه.

- وعرفتي؟

- بقالي شهر أهو، أو أكتر.

- طيب هايل. برافو عليكي. عملتي إيه؟

- قررت. بصيت قُدَّامي لقيت باب موارب مليان تعاسة. قررت إني مش عايزاه. قررت إني مش عايزة أكون attached للمواضيع. حسيت إن كل القهر والزعل واحساسي إن الدنيا بتضلم في عينيا كلها حاجات مش لطيفة. وبتوجعني.

- بصي يا حبيبتي. (صوت أنثوي حنون بلا شك، وليس كتلك الصراصير الخبيثة).

- هو إنتي مين؟ ومستخبية فين؟

- اسمعيني بس. الفكرة كلها في المكان اللي القرار بتاعك ده طالع منه. هل هو الخوف؟ الخوف من الوجع إياه؟ ولا الحب لنفسك أو للحياة؟ ولا تسليم لله؟ ولا استسلام للدنيا؟

أخذني صوتها الدافئ إلى أعماقي، ووجدتني أحاول سبر أغواري لأفهم نفسي.

- متهيألي زهقت من الوجع. مش رافضاه. لكن متصالحة معاه. زهقت ومش قابلة إني أفضل شخشيخة في إيد مشاعري والصراصير اللي في دماغي – مع الاعتذار يعني. متهيألي حاسة إني أستحق حياة سعيدة من غير براكين وزلازل زي اللي سلفادور بيقعد يعزمني عليها.

- يعني إنتي شايفة حياتك ازاي؟

- أهدى. مش مفيهاش مشاكل. أنا عارفة كل الناس عندهم مشاكل. وعارفة إني حساسة وبتأثر، بس مشتاقة لهدوء. لواحة. حاسة إني مهما زعلت مش هو ده الحل. وبعدين أنا أعرف منين الخير فين أو حتى أعرف منين إيه اللي هيحصل؟ يعني زعلي ووجع قلبي بيستهلكني. من غير ما يغير المكتوب.

- ده سلام ولا استسلام؟

- مش عارفة. بس أنا مش خايفة. أو يعني نسبة الخوف قد النملة. ما هو برضو ساكن من زمان.

ولو إن الكلام معاكي ريحني قوي.

- والله أنا شايفة إنه طالما اللي إنتي فيه طالع من حب مش من خوف، يبقى ما تسمعيش كلام أي صرصار يهب ناحيتك ويناديكي لبلاعاته. حتى لو كان سلفادور أبو شنبات جنان.

- هو إنتي مين وفين؟ ممكن تورِيني نفسك بقى؟ إنتي الصرصارة الوحيدة اللي حسيت إنها فاهماني.

- غمضي عينيكي طيب.

أغمضت عينيَّ وأنا أبتسم متذكرة ألاعيب الأطفال تلك.

- فتحي.

وإذ بي أرى أجنحة صغيرة تتراقص في تناغم. ألوانها برتقالية وزرقاء، مع الأصفر الشمسي الجميل. إنها ليست صرصارًا.

إنها فراشة.

فراشة جميلة ورقيقة.

ابتسمت.

"أخيرًا طلعت لي فراشة!"

المحتويات

الحلقة الأولى..... 7
الحلقة الثانية..... 11
الحلقة الثالثة..... 14
الحلقة الرابعة..... 18
الحلقة الخامسة 24
الصرصار المحتاج 27
الصرصار المذنب..... 31
الصرصار المضغوط 35
الصرصار القديم 38
الصرصار المتردد 44
الصرصار الغاضب..... 47
الصرصار أبو شنب بريمة..... 55
الصرصار أبو شنب بريمة (الجزء الثاني)..... 61
الصرصار يخاف 64
الحفلة..... 71
الصرصار الشكاك..... 77
الصرصار المنبوذ..... 82
الصرصار المحيّر..... 91
الصرصار اللعيب 96

الصرصار الحلزوني 101
صرصور Not Good Enough 107
أنا مش كفاية 107
الصرصار المشغول 115
الصرصار المهاجر 120
الصرصار الكئيب 130
اللهو الخفي 134
الصرصار الرقمي 139
الصرصار الحرنان 145
الصرصار المضحي 149
صرصار الوجع 154
صرصار الوجع 2 160